دور اليهودي الثري البارون دو هيرش

في توطين يهود من روسيا في الأرجنتين، 1891



تأليف

سعيد إبراهيم كريديه

دور اليهودي الثري البارون دو هيرش

في توطين يهود من روسيا في الأرجنتين، 1891

تأليف

سعيد إبراهيم كريديه

بيروت

دار عيون التاريخ

بيروت – المصيطبة، بناية الضياء، ط 10، شارع يزبك

لبنان

www.ouyoutarikh.com

E-mail: kreidiehsaid@gmail.com

المقدمة

لم يرتبط تاريخ اليهود بالزراعة بوجهٍ عام وذلك بسبب قرون من الهجرة والاضطهاد والتقلبات الاقتصادية والقيود الحكومية للدول التي سكن بها، وهذا ينطبق بشكل خاص على يهود الأشكناز[1] الذين بحثوا لقرون عن رزقهم في المدن والقرى الأوروبية. وكان هؤلاء اليهود عندما يهاجرون إلى أي بلد يختارون عمومًا المهن التي تميز اليهود في معظم الأمم مثل: التجارة، وتصنيع السلع الاستهلاكية على نطاق صغير، ومؤخرًا المهن مثل الطب والقانون. إلا أنه خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر هاجر عدد كبير من يهود الأشكيناز من روسيا إلى الأرجنتين التي أصبحت في القعد الأخير من القرن التاسع عشر موطنًا للعديد من المستعمرات الزراعية لليهود التي أنشأها البارون موريس دو هيرش Baron Maurice de Hirsch الممول اليهودي والذي كان على دراية بمعاناة اليهود في روسيا. و قد حاول هيرش أولاً استخدام ثروته لتوفير التعليم لهؤلاء اليهود، إلا ان الحكومة الروسية رفضت ذلك فاعتبر أن الخيار الوحيد المتبقي هو الهجرة و مغادرة روسيا، فأسس في عام 1891 جمعية لمساعدة

[1] هم اليهود الذين أسسوا مجتمعات على طول نهر الراين في ألمانيا وشمال فرنسا والتي يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى، وبمجرد الوصول إلى هناك قاموا بتكييف التقاليد المنقولة من بابل والأراضي المقدسة وغرب البحر الأبيض المتوسط إلى بيئتهم الجديدة، وفي أواخر العصور الوسطى وبسبب الاضطهاد الديني تحولت غالبية السكان الأشكناز بثبات نحو الشرق الأوروبي وانتقلت إلى المناطق التي أصبحت لاحقاً جزءاً من الكومنولث البولندي الليتواني الذي ضم أجزاء من بيلاروسيا الحالية ولاتفيا وليتوانيا ومولدوفا وبولندا وروسيا وأوكرانيا، أما لغتهم فكانت الييدشية وهي خليط من لغات اوروبية وعبرية.

اليهود في روسيا عرفت باسم جمعية الاستيطان اليهودي وباللغة الإنكليزية باسم Jewish Colonization Association وإختصارها JCA والتي أدار من خلالها مشروعًا ضخمًا للرعاية الاجتماعية يتمثل في هجرة آلاف اليهود من الإمبراطورية الروسية إلى الأرجنتين واستقرارهم في المستوطنات الزراعية.

لم تكن هذه الجمعية صهيونية بمعنى أنها لم تكن تسعى لهجرة اليهود إلى فلسطين تحديدا، وإنما كانت تسعى لهجرتهم إلى أي مكان يتاح لهم استعماره زراعيا عبر إقامة المستوطنات الزراعية. ورغم أن الولايات المتحدة كانت الوجهة المفضلة للهجرة، إلا أنها لم تكن الوجهة المناسبة لمشروع الهجرة المنظمة بالحجم الذي تخيله هيرش، فاضطر للبحث عن وجهات أخرى وقرر التوجه إلى الأرجنتين. وكان لتدهور وضع اليهود في الإمبراطورية الروسية خلال القرن التاسع عشر ولتفاقعم ظروفهم المعيشية السيئة ولمعاداة اليهود في روسيا الدرو البارز في تدخل البارون هيرش لإطلاق مشروعة الإستيطاني في الأرجنتين.

تعتبر هذه الهجرة اليهودية إلى الأرجنتين من الحالات الفريدة حيثث إنطلقت من منطقة تسود فيها الثقافة السلافية يعيش فيها اليهود في المدن إلى منطقة الثقافة اللاتينية الإسبانية الريفية المكثفة، ومع ذلك كانت الأرجنتين الدولة الوحيدة في نصف الكرة الغربي حيث استقر عدد كبير من اليهود على أرضها.

تبرز أهمية هذا المشروع الإستيطاني بكونة أحد المشاريع الإستيطانية اليهودية غير الصهيونية التي نُفذت خارج فلسطين. فمن الملاحظ أن معظم الدراسات المعاصرة حول هذا الموضوع تربط الاستيطان اليهودي بأرض فلسطين فقط

علما بأن هنالك مناطق أخرى كثيرة كانت محط أنظار رواد مشاريع الإستيطان اليهودي. فقد جرت محاولات جادة لاستعمار أرض مدين في شمال الحجاز ومنطقة العريش وسيناء والجبل الأخضر في ليبيا والبحرين والإحساء في منطقة الخليج العربي بالإضافة إلى قبرص وأوغندا و رودس وأنغولا وموزمبيق والأرجنتين.[1]

كيف تم تنفيذ مشروع هيرش الإستيطاني اليهودي وكيف تمت عملية نقل يهود روسيا إلى الأرجنتين؟ هذا ما سيُفصح عنه في هذا البحث.

وأخيرا لابد من توجيه الشكر والإمتنان لكل من قدم لي المساعدة في كتابة هذا البحث وبالأخص السيدة كاتيا قدسي نهرا مديرة قسم خدمة توفير الوثائق للقراء DDL في مكتبة الجامعة اللبنانية الأميركية حيث أمنت لي مشكورة مطبوعات من خارج لبنان كان لها الاثر الطيب في كتابة هذا العمل.

سعيد كريديه

بيروت - لبنان

[1] أمين عبد الله محمود، *مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى*، سلسلة عالم المعرفة، 74، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، 1984)، ص 137.

الفصل الأول

سيرة حياة البارون موريس دو هيرش

Baron Maurice de Hirsch



البارون موريس دو هيرش

إسمه بالألمانية Moritz Freiherr von Hirsch auf Gereuth (موريتز فراير فون أوف غِرويت) وبالفرنسية Baron Maurice de Hirsch البارون[1] موريس دو هيرش وسنعتد في هذا البحث أسم "هيرش". ولد هيرش في 9 كانون الأول/ديسمبر عام 1831 بمدينة ميونخ في مملكة بافاريا والتي كانت أحد الممالك الألمانية قبل توحيد ألمانياعام 1871، وهو من أثرياء يهود أوروبا وأول من فكر في إعادة توطين اليهود على نطاق واسع.[2] ينحدر هيرش

---

[1] كلمة "بارون" تعني رتبة نبيلة أو لقب شرفي في عدة دول أوروبية.

[2] عبد الوهاب المسيري، "موريس دي هيرش، 1831-1896"، *موسوعة اليهود والصهيونية* (بيروت: دار الشروق، 1999)، مج 6، ص 178.

من عائلة يهودية ثرية لعدة أجيال احتلت مكانة بارزة في المجتمع اليهودي الألماني حيث انخرطت في العمل المصرفي وكان والده مصرفيًا للملك البافاري ماكسيميلان جوزف Maximilian Joseph و تم تعيينه فرايهر[1] Freiherr في عام 1869، وكان جده أول مالك أرض يهودي في بافاريا. حرصت والدته كارولين فيرتهايمر Caroline Wertheimer على أن يتلقى تعليمًا جيدًا في العبرية والمعتقد اليهودي وكان ذهنه يقظًا وسريع الفهم، لكنه لم يكن يتمتع بروح المتعلم. في سن المراهقة شارك في العديد من المشاريع التجارية، وفي عام 1855 تزوج هيرش من كلارا Clara الابنة الكبرى للسيناتور جوناثان-رافائيل بيشوفشيم Jonathan-Raphaël Bischoffsheim الذي شارك في تأسيس بنك بيشوفشايم وغولدشميت Bischoffsheim & Goldschmidt في بروكسل عاصمة بلجيكا، والذي كان له فروع في لندن وباريس. ورغم أنه كان مجرد كاتب، إلا أنه سرعان ما أصبح العقل المدبر لهذه المؤسسة المصرفية الدولية الكبرى.

بعد أن ورث هيرش عن أبيه وجده ثروة طائلة زادها المهر من زوجته إلى حد كبير انخرط في المضاربات لسلعتي السكر والنحاس وفي مشاريع سكك حديدية على حسابه الخاص في النمسا والبلقان وروسيا. وفي حين لم تتمكن شركة مصرفية في بروكسل كانت قد حصلت من الحكومة العثمانية على امتيازات لبناء خط سكة حديد عبر البلقان إلى إستانبول من تنفيذ المشروع حصل هيرش

[1] تعني السيد الحر بالألمانية وهي تشير إلى لقب للنبلاء في المناطق الناطقة بالألمانية بما في ذلك الإمبراطورية الرومانية المقدسة وغيرها من الدول والمناطق الألمانية مثل النمسا، بروسيا، بافاريا، ليختنشتاين ولوكسمبورغ.

على هذه الامتيازات، وذهب إلى إستانبول، وبعد جهد دؤوب نجح في تعديلها وتجديدها. وبعد ذلك، أسس شركة إنشاءات وأكمل ترتيبات بناء هذا الخط الحديدي المهم الذي كان من المقرر أن يربط أوروبا بالشرق الأوسط. وعلى الرغم من أنه لم يتم النظر إلى المشروع بعين الرضا، لكن البارون هيرش رأى بوضوح قيمته التجارية ومزاياه وحصل على قدر كافٍ من التعاون وأشرف شخصيًا على المشروع بعد أن استدعى أمهر مهندسي السكك الحديدية في أوروبا لمساعدته.[1]

وبالإضافة إلى انشغاله الشاق بأعمال بناء السكك الحديدية، أصبح هيرش على دراية بالحالة المزرية التي يعيشها اليهود في روسيا وشرق أوروبا والتي كانت ترجع في المقام الأول حسب رأيه إلى الافتقار إلى التعليم العملي وفرص كسب الرزق. وفي هذا السياق إهتم هيرش بالعمل التعليمي الجيد والخدمات الخيرية التي قدمها التحالف الإسرائيلي العالمي[2] فوضع مبالغ كبيرة تحت تصرف هذه المنظمة لتمكينها من توسيع نطاق عملها في الدولة العثمانية، ففي عام 1873 وجه المذكرة التالية إلى مجلس إدارة هذا التحالف: "خلال زياراتي المتكررة والطويلة إلى تركيا، تأثرت بشدة بالبؤس والجهل الذي تعيشه الجماهير اليهودية في تلك الإمبراطورية... لقد تجاوزهم التقدم، وفقرهم نابع من نقص التعليم، فلن

[1] Isidore Singer and Oscar S. Straus, “Hirsch, Baron Moritz Freiherr von Hirsch auf Gereuth“, *Jewish Encyclopedia*, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth.

[2] هو منظمة يهودية دولية مقرها في باريس عُرف بالفرنسية بإسم: Alliance Israélite Universelle، تأسس عام 1860 بهدف حماية حقوق اليهود حول العالم. يشتهر الاتحاد الإسرائيلي العالمي بتأسيس العديد من مدارس الإليانس باللغة الفرنسية للأطفال اليهود حول حوض البحر المتوسط، بالإضافة إلى تقديم المساعدات التعليمية والمهنية.

يعالج هذا الوضع البائس إلا بتعليم وتدريب جيل الشباب"،[1] وفي نفس العام منح هيرش التحالف مليون فرنك لإنشاء المدارس.[2]

ومن عام 1880 حتى وفاته عام 1896، تعهد هيرش بتعويض العجز السنوي للتحالف الإسرائيلي العالمي والذي بلغ كل عام مئات الآلاف من الفرنكات، وفي الوقت نفسه شجع التحالف على إنشاء مدارس مهنية والتي دفع نفقاتها بالكامل من عام 1878 حتى وفاته.[3]

وبما أن هيرش عاش معظم حياته في النمسا، فكان من الطبيعي أن يجذبه الوضع المزري لليهود في تلك الإمبراطورية. ففي عام 1889 وضع خطة لمساعدة يهود منطقة غاليسيا[4] Galicia، وحدد أهداف مؤسسته المقترحة التي صادف تاريخ تأسيسها مع مرور أربعين عامًا على حكم الإمبراطور النمساوي فرانسيس جوزيف (1888)، وذلك على النحو التالي:

1 .إنشاء مدارس ابتدائية وملاعب ترفيهية للأطفال في غاليسيا وبوكوفينا.

2 .منح إعانات للمعلمين.

3 توفير الكتب المدرسية وغيرها من المستلزمات التعليمية بالإضافة إلى الملابس والطعام للتلاميذ.

---

[1] Edgardo E. Zablotsky, "Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch", *Serie Documentos de Trabajo No. 264* (Buenos Aires: Universidad del Centro de Estudios Macroeconómicos de Argentina (UCEMA)), https://hdl.handle.net/10419/110067, p. 6.

[2] Singer and Straus, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth.

[3] المصدر السابق.

[4] تتقاسمها الآن كل من أوكرانيا وبولندا.

4 .منح إعانات لإنشاء مدارس للأطفال اليهود.

5 .تدريب الشباب اليهود على الحرف اليدوية والزراعية.

6 .تقديم الدعم للطلاب اليهود في المدارس التجارية والمهنية.

7 .منح قروض بدون فوائد للحرفيين والمزارعين.

8 .إنشاء مدارس تجارية وفنية وزراعية.[1]

في عام 1891 وافقت الحكومة النمساوية على الخطة ووضع البارون هيرش 12 مليون فرنك تحت تصرف الأمناء.[2]

وفي سياق إهتامه بيهود روسيا وأوروبا الشرقية وضع هيرش في عام 1885 بمساعدة لجنة خطةً لتحسين أوضاع اليهود الروس. وكان رأيه آنذاك أن أفضل سبيل لتحقيق هذا الهدف هو تطبيق إجراءات هذه الخطة في روسيا نفسها دون اللجوء إلى الهجرة. وكتمويلٍ أوليٍّ لهذه الخطة عرض على الحكومة الروسية 50 مليون فرنك لاستخدامها في التعليم، إلا أن الحكومة رفضت هذا العرض ما لم يُعهد إليها بالأموال لإدارة وتوزيعها حصريًا.[3] وبعد خيبة أمل وعلى مضض، توصل هيرش إلى استنتاج مفاده أنه في ضوء هذا التوجه من جانب الحكومة الروسية فإن الخطة الوحيدة المأمولة لإغاثة اليهود الروس تكمن في الهجرة. لذلك، كرّس كل جهوده للبحث عن أفضل خطط الاستيطان ودراستها، مما أدى

---

[1] Singer and Straus, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth.

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

إلى تشكيل جمعية دولية مُدرجة بموجب القوانين الإنكليزية، عُرفت باسم "جمعية الاستيطان اليهودي Jewish Colonization Association" عام 1891 والتي سعى من خلالها لإستيطان اليهود بعيداً عن أوروبا فكانت الوجهة إلى العالم الجديد وبالتحديد في الأرجنتين والبرازيل وكندا والولايات المتحدة، وكان من المقرر أن تكون هذه الجمعية أداةً لما اعتبره هيرش تجديدًا أخلاقيًا وماديًا لليهود الروس[1] وهي جمعية استيطانية بدون ديباجات صهيونية بل مجرد جمعية رفاه اجتماعي تساعد المهاجرين في مجتمعاتهم الجديدة. لكن لم يكن نقل الجماهير اليهودية هو كل ما تصوره البارون دو هيرش، فقد كان يأمل أن تكون الهجرة بمثابة مقدمة للتجديد الجسدي والأخلاقي ليهود روسيا بالكامل.[2] وقد عبّر هيرش عن آرائه تلك على النحو التالي: "ما أرغب في تحقيقه، والذي أصبح بعد إخفاقات عديدة، هدف حياتي والذي أراهن من أجله بثروتي وقدراتي الفكرية، هو منح جزء من رفاقي في الإيمان فرصة إيجاد حياة جديدة في المقام الأول كمزارعين وحرفيين في تلك الأراضي التي تسمح لهم القوانين والتسامح الديني بمواصلة النضال من أجل البقاء كرعايا نبلاء ومسؤولين في ظل حكومة إنسانية".[3]

وفي آب/أغسطس 1891، وفي الوقت الذي بدأت فيه أنشطة جمعية الإستيطان اليهودي في الأرجنتين، صرّح هيرش قائلًا: "لقد قادتني تجربتي الشخصية إلى

---

[1] Morton D. Winsberg, *Colonia Baron Hirsch: A Jewish agricultural colony in Argentina* (Gainesville, FL: University of Florida Press, 1964), p.4.
[2] Samuel Joseph, *History of the Baron De Hirsch Fund: The Americanization of the Jewish immigrant*, ([Philadelphia]: Printed for Baron de Hirsch Fund by the Jewish Publication Society, 1935), p. 12.
[3] Winsberg, pp. 4-5.

إدراك أن اليهود يتمتعون بقدرة زراعية ممتازة... وستُظهر جهودي أن اليهود لم يفقدوا الصفات الزراعية التي امتلكها أجدادهم. سأسعى إلى أن أجعل لهم موطنًا جديدًا في أراضٍ مختلفة، حيث يمكنهم، كمزارعين أحرار على أرضهم أن يجلبوا المنفعة لتلك البلاد".[1] وفي مقال نشر في تموز عام 1891 في مجلة *North American Review* الصادرة في الولايات المتحدة كتب التالي: "أنا أعارض بشدة نظام الصدقات القديم الذي لا يؤدي إلا إلى زيادة عدد المتسولين وأعتبر أن أعظم مشكلة في العمل الخيري هي تجنيب الأفراد القادرين على العمل من أيصبحوا فقراء، وبهذه الطريقة ننشئ أعضاء مفيدين في المجتمع."[2]

إعتبر هيرش أن الإحسان لا يعني الصدقات فكان مقتنعًا بإمكانية ضمان مستقبل اليهود في روسيا من خلال منحهم فرصة لتحقيق الاكتفاء الذاتي من خلال العمل الإنتاجي. ولهذا السبب وضع قواعد صارمة تُمكّن المهاجرين من الحصول على حق ملكية الأراضي، وإن لم يكن ذلك مجانًا، بل بعد سداد ثمنها تمامًا كما هو الحال مع سداد جميع القروض العينية التي حصلوا عليها خلال فترة الانتقال إلى الأرجنتين وحتى الحصاد الأول، بالإضافة إلى دفع فوائدها المقابلة.[3] وقد شدد سالومون أدلر-رودل[4] Salomon Adler-Rudel على هدف إعادة التأهيل الاقتصادي لهذا المشروع حيث صرح: "كان أحد أبرز فاعلي الخير اليهود في

---

[1] Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 6.

[2] مقتبس من: المصدر السابق، ص 6.

[3] Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 27.

[4] كان سالومون أدلر-رودل (1894-1975) عاملًا اجتماعيًا وموظفًا يهوديا من أصل نمساوي، شغل منصب ممثل اليهود الألمان في المنظمات الدولية وهاجر إلى بريطانيا عام 1936، ثم إنتقل إلى فلسطين المحتلة عام 1949.

أوروبا الغربية ممن عزموا على تلبية احتياجات يهود الشرق لا بالصدقات بل بخطط بناءة وموارد مالية ضخمة، هو: سليل يهود ألمانيا: البارون موريتز فون هيرش".[1]

وفي عام 1891 أنشأ هيرش "صندوق بارون دو هيرش" في مدينة نيويورك لمساعدة اليهود الروس على الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية، كما قدّم مبلغ 2,500,000 دولار أميركي[2] للمستوطنات الزراعية والمدارس المهنية في الولايات المتحدة الأميركية أشهرها المدرسة الزراعية في "ودباين Woodbine" في نيو جرسي، وأصبح هذا الصندوق الجهة الرئيسية التي تستخدمها جمعية الاستيطان اليهودي في عملها في الولايات المتحدة، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية توقفت أنشطة الجمعية في الولايات المتحدة فعليا.[3]

ومن جهةٍ أخرى لم يقتصر نشاط هيرش الخيري على اليهود فقط إذ في عام 1878 وأثناء الحرب الروسية العثمانية أنشأ وحافظ على مستشفيات لكلا الجيشين، وأرسل إلى إمبراطورة روسيا 40 ألف جنيه إسترليني لأغراض خيرية.[4]

---

[1] مقتبس من:
Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 5.

[2] Singer and Straus, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth.

[3] “Jewish Colonization Association (ICA)”, *Jewish Virtual Library,* https://www.jewishvirtuallibrary.org/jewish-colonization-association-ica#google_vignette

[4] Singer and Straus, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth.

حاول أحباء صهيون وهرتزل مؤسس الحركة الصهيونية أن يطلبوا من هيرش العون لمشاريعهم، ففي عام 1896 كانت لا تزال الحركة الصهيونية فكرة قيد التبلور مصحوبة بسعي الصحفي النمساوي ثيودور هيرتزل لدعمها واستنهاضها، فكان أول من اتصل به هو البارون دو هيرش عارضًا عليه اقتراحات لمأسسة الجهد الاستعماري اليهودي وتمويله بشكل أوسع، وكان من بين الاقتراحات دعوته للمشاركة بتأسيس بنك الاستيطان اليهودي، وإسناده بمبلغ مليوني جنيه إسترليني من قبل جمعية الاستعمار،[1] لكن هيرش اعتبر أن محاولة إنشاء دولة صهيونية في فلسطين مجرد وهم كبير، وظل على إيمانه بامكانية تحويل يهود أحياء الغيتو في أوروبا الشرقية إلى شعب زراعي حتى وفاته عام 1896.[2]

أثارت رغبة هيرش في تحويل تدفق الهجرة إلى الغرب بدلاً من فلسطين غضب هرتزل الذي اعتبر إلى جانب الصهاينة الآخرين هذه الخطة بمثابة إهدار هائل للمال الذي كان من الممكن استخدامه في إنشاء الدولة اليهودية،[3] فالفلسفة الخيرية للبارون موريس دو هيرش كانت واضحة بحيث لا تقوم على توزيع الصدقات أو الإعانات التي لا تؤدي إلا إلى تعزيز الفقر بل على تمكين أولئك الذين لم تتح لهم فرصة العيش بكرامة في بلدهم الأصلي من الحصول على فرصة جديدة لتحقيق إمكاناتهم كبشر وإن لم يكن ذلك من دون جهد وتضحية.[4] ومن جهةٍ ثانية

---

[1] سجود عوايص، "جمعية الاستعمار اليهودي: التأسيس لاستيطان فلسطين وجيرانها العرب"، https://www.noonpost.com/256407/

[2] المسيري، "موريس دي هيرش، 1831-1896"، مج 6، ص 178.

[3] Winsberg, pp. 5-6.

[4] Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 27.

كان إختيار اليهود في روسيا للحرية الإقتصادية والثقافية في النصف الكرة الأرضي أثراً في تعزيز فكرة هيرش للهجرة بالرغم من الرابط الديني لهؤلاء اليهود بفلسطين وتأثير أفكار هرتزل الصهيونية عليهم.

مدفن البارون دو هيرش في مقبرة مونمارتر*Cimetière de Montmartre* في باريس

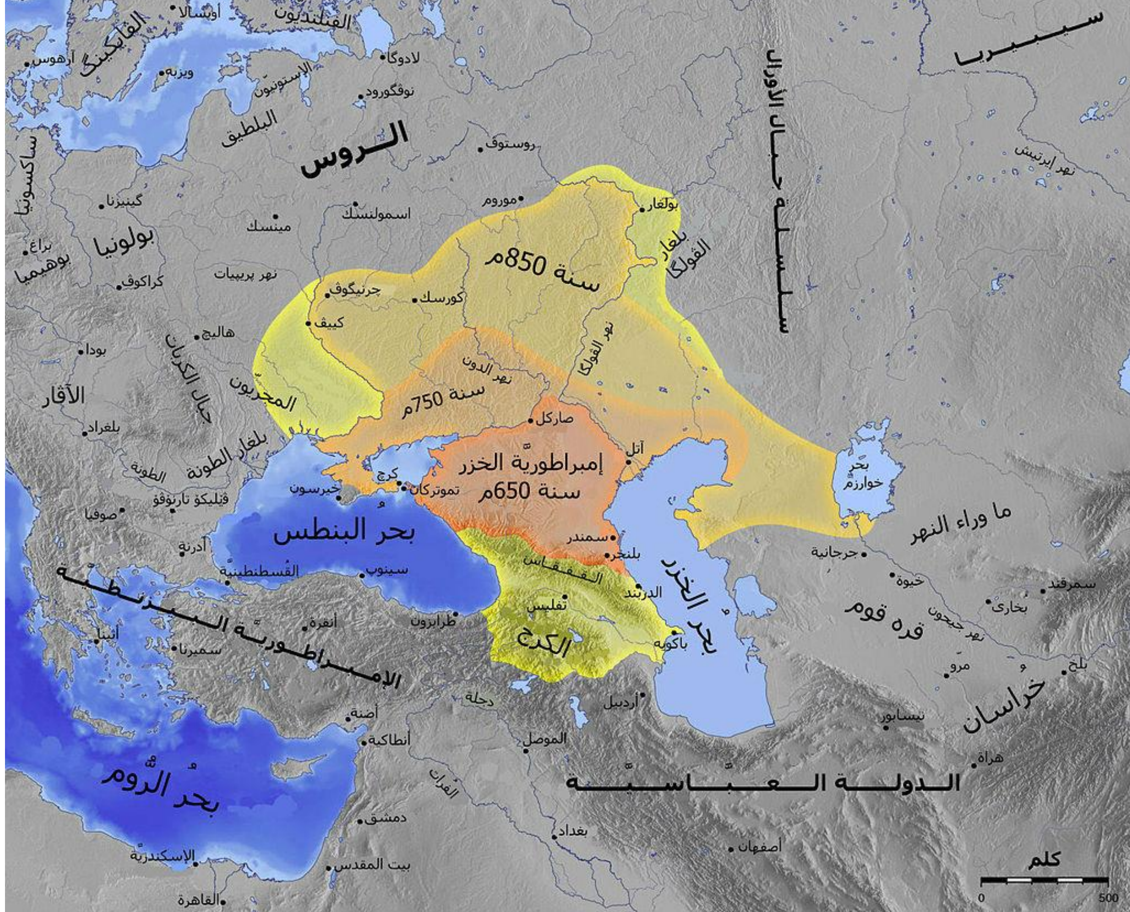


الفصل الثاني

وضع اليهود في روسيا قبل إطلاق هيرش مشروعه

لن تكون دراسة مكتملة لمشروع هرش دون إلقاء نظرة على الظروف التي عاش فيها اليهود خلال القرن التاسع عشر في روسيا، فمعظم الذين هاجروا إلى الأرجنتين خضعوا لسيطرة القيصر الروسي في ذلك الوقت. إختلفت النظريات والآراء التي تفسر بداية الوجود اليهودي في روسيا، فهناك نظريات تتفق حول سبب الوجود وتختلف حول مسار الهجرة إلى ما يسمى اليوم بروسيا. فقد اتفقت الرؤى على أن وجود اليهود في روسيا يرجع إلى الشتات اليهودي الأول وتدمير هيكل سليمان وخروجهم من القدس على يد الآشوريين بقيادة نبوخذ نصر، إلا أنها تختلف في المسار الذي اتبعه اليهود للوصول إلى روسيا حتى استقروا بالتحديد في المنطقة الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين. فمنهم من فسر هذا الوجود بوصول اليهود إلى المدن الواقعة على البحر الأسود كأسرى حرب ومن ثم انتقلوا إلى روسيا بعد ذلك، وهناك نظريات أخرى تقول أن اليهود وقت الشتات الأول ذهبوا الى المدن اليونانية بآسيا الصغرى وانتقل بعضهم بعد ذلك إلى الشواطئ الشمالية للبحر الأسود حيث استقروا في تلك المنطقة. في حين أن هناك تفسريات أخرى ترى أن اليهود الروس هم جماعة يعود أصلها إلى مملكة الخزر التي إمتدت من الشواطئ الشمالية للبحر الأسود حتى روسيا الأوروبية وجنوب اوكرانيا وغرب كازاختستان (أنظر الخريطة بالاسفل)، وكانوا من شعوب الترك الرُحل، التي يتسم أهلها بالعنف ويمارسون النهب والسلب وقطع الطرق. وجاء إعتناق هذه المملكة لليهودية عام 740م بسبب رغبة ملكها بذلك حيث فسر بعض المحللين ذلك بعدة تفسريات، فمنهم من قال أن ملك الخزر جمع آنذاك رجال دين يمثلون الديانات السماوية الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية

ليتناظروا أمامه كي يختار إحدى الديانات ليعتنقها، وكانت نتيجة المناظرة اقتناعه باليهودية واعتناقه هو وشعبه لها.[1]



مملكة الخزر

وهناك تفسريات ترى أن سبب اعتناق ملك الخزر لليهودية هو تجنب بطش الإمبراطورية المسيحية البيزنطية في حال اعتناقه الإسلام، وكذلك حتى لا يصطدم بالدولة العباسية الإسلامية في حال اعتناقه المسيحية حيث كان هناك صراع دائر بين الدولتين الإسلامية والمسيحية آنذاك فكان إعتناق اليهودية هو

---

[1] هبة جمال الدين العزب، *الطائفة اليهودية في روسيا من التهميش إلى النفوذ*، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، 2025، ص 11.

الحل،[1] وهذا بالتالي أدى إلى اعتناق أسر الطبقة الحاكمة في مملكة الخزر للديانة نفسها. أما الشعب فقد كان يتكون من جماعات بدوية وطوائف متنوعة منها المسلمون والمسيحيون واليهود والوثنيون وغيرهم من أتباع الأديان البدائية، وكانوا هؤلاء يعملون في التجارة والزراعة ومختلف أنواع الحرف، ومنهم جنود في الجيش الخزري. ولكن بعد اعتناق ملوكهم لليهودية بدأ الخزر بالتحول إلى دين ملوكهم الجديد حتى أصبح عدد "المتهودين" منهم يشكل الأغلبية بسبب تكاثرهم وتكاثر نسلهم من بعدهم، ومع مرور الزمن تحولت بلادهم تدريجيًا لتصبح الدولة الوحيدة في العالم التي كانت تدين رسميًا بالديانة اليهودية في تلك العصور.[2]

ولكن إذا كان الهدف من تهوّد الخزر هو استقلالهم والحفاظ على وجودهم ووجود دولتهم، فهذا الهدف لم يتحقق على المدى البعيد. إذ إن مملكتهم سرعان ما بدأت بالاضمحلال تدريجيًا بعد قرون قليلة من اعتناقهم لليهودية على إثر ما تلقته من ضربات على يد قبائل الروس السلاف الذين كانوا يغيرون عليهم من الشمال باستمرار حتى كادوا أن يقضوا على مملكة الخزر في القرن العاشر الميلادي. وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة استمر وجود مملكتهم حتى القرن الثالث عشر في حين كانت أحوالهم تتدهور تدريجيًا من جراء كثرة حروبهم مع جيرانهم من جميع الجهات إلى أن اجتاحتها أخيرًا جحافل المغول المدمرة فمحتها من الوجود. ولكن نهاية مملكة الخزر اليهودية لم تكن نهاية للخزر أنفسهم، إذ إن انهيار دولتهم أدى إلى تشتتهم في مختلف أقطار أوروبا

---

[1] المصدر السابق، ص 11.

[2] طارق خالد الحجي، "تهود الخزر"، *مجلة العربي*، العدد 635، https://alarabi.nccal.gov.kw/

الشرقية وبشكل خاص في أوكرانيا وبولندا والمجر (هنغاريا) ولتوانيا ومناطق أخرى من روسيا التي وجد الخزر في مدنها وقراها الكثيرة ملجأ لهم ولأحفادهم الذين بلغ عددهم الملايين بعد قرون قلية من تشردهم على أيدي المغول وانقراض مملكتهم الهزيلة.[1]

وفي نهاية القرن العاشر تحولت إمارة كييف الروسية إلى المسيحية الأرثوذكسية اليونانية، وكانت هذه الإمارة أول دولة سلافية شرقية ولاحقًا مزيجًا من الإمارات في أوروبا الشرقية من أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الثالث عشر حيث دمر الغزو المغولي كييف سنة 1240 ، كما كانت هذه الإمارة من المناطق التي لجأ إلها يهود الخزر ويهود من الأمبراطورية البيزنطية الذين إشتغلوا في التجارة. وكانت الحياة الثقافية الروسية في إمارة كييف قد تأثرت بروح بيزنطة من عدم التسامح تجاه اليهود، ونتيجة لذلك، اعتبر الروس أن اليهود هم أعداء الله وزنادقة يعتنقون دينًا منحرفًا، وفي نهاية المطاف انتشرت الكراهية ضد اليهود في هذه الإمارة.[2] لم يبقَ هذا التعصب الديني دون أثر فعلي، ففي بداية القرن الثاني عشر تعرضت أحياء كييف اليهودية لأول هجوم، وقد حدث ذلك بعد وفاة دوق كييف، سفياتوبولك Svyatoplk الثاني، عام 1113. كان هذا الحاكم قد حمى رعاياه اليهود وعهد إلى بعضهم بتحصيل الجمارك وغيرها من الضرائب الدوقية. ولكن خلال فترة خلو العرش التي تلت وفاته، اضطر يهود كييف إلى دفع ثمن باهظ للحرية التي تمتعوا بها. وكان سكان كييف

---

[1] المصدر السابق.

[2] Simon Dubnow, *History of the Jews in Russia and Poland from the earliest times until the present day*, translated from the Russian by Israel Friedlaender (Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1916), v. I, p. 31.

قد عرضوا عرش الإمارة على الأمير فلاديمير الثاني مونوماخ Vladimir II Monomakh، لكنه تباطأ في دخول المدينة مما أدى إلى اندلاع أعمال شغب. ثارت حشود كييف، وبعد أن نهبت منازل عدد من كبار المسؤولين، انقضت على اليهود ونهبوا ممتلكاتهم. ومع ذلك، استمر اليهود في الإقامة في كييف.[1]

أدى إنهيار كييف إلى تراجع مكانتها وبعد ذلك إلى تفتتت الأراضي الروسية إلى إمارات صغيرة تدفع الجزية للمغول. في هذه الفترة كانت إمارة موسكو كانت تقع في منطقة محمية بالغابات والأنهار وبعيدة نسبيًا عن الغزوات المباشرة مما كسبت ثقة المغول (خانية القبيلة الذهبية)، فمُنحت امتياز جمع الضرائب من الإمارات الروسية الأخرى، وبعد دمار كييف، انتقل مركز الكنيسة الروسية الأرثوذكسية تدريجيًا إلى موسكو وهذا أعطاها شرعية دينية قوية، وجعلها "حامية الإيمان الأرثوذكسي" ليسطع نجم موسكو وروسيا القيصرية التي جلبت معها من كييف معاداة اليهود.

وكان إيفان الرهيب[2] أول قياصرة روسيا والذي حكم بين عامي 1547 و 1584 قرر طرد قسم كبير من اليهود من روسيا لإبعاد أي عناصر تجارية أجنبية عن البلاد. وبعد الفترة التي عُرفت باسم "زمن المتاعب" (1598-1613) والتي شهدت إعتلاء أمير بولندي العرش الروسي ونشوب حروب أهلية زاد عمق الرفض الروسي لليهود حيث أن مغتصبي العرش من البولنديين أحضروا معهم كثيراً من صنائعهم اليهود، لكن روسيا منعت اليهود من الدخول إلى أراضيها

---

[1] المصدر السابق، ص 32.

[2] هو إيفان فاسيليفيتش أمير موسكو وقيصر عموم روسيا الأول توج أميراً لموسكو عام 1533 (في سن الثلاث سنوات) وتوج كأول قياصرة روسيا في العام 1547 وهو في السادسة عشرة من عمره، فحكم مدة 51 من عام 1533وحتى وفاته عام 1584، سُمي إيفان الرهيب بهذا اللقب بسبب القسوة والعنف اللذين اشتهر بهما خلال فترة حكمه، خاصة في قمع الثورات والحروب التوسعية التي خاضها.

إلا لأسباب خاصة مثل حضور سوق تجاري. وظل هذا الحظر أحد ثوابت السياسة الروسية حتى تقسيم بولندا في اواخر القرن الثامن عشر.[1]

تعود خشية روسيا القيصرية آنذاك من اليهود لخوف العناصر الزراعية التقليدية الروسية من وجود عنصر غريب له علاقات دولية واسعة ومتواجد في دولتهم الروسية الجديدة التي لم تكن سلطتها قد تدعمت بعد نظراً لترامي أطرافها ولكون هذا العنصر الغريب له مصالحه المالية الخاصة التي لا تتفق بالضرورة مع مصالح روسيا بالإضافة إلى أن اليهود في روسيا وأوروبا الشرقية كانوا يشكلون كتلة سكانية متحركة وغير مستقرة على رقعة أرض مقصورة عليهم كما هو الحال مع الشعوب والأقوام والأقليات والطوائف الأخرى داخل الأمبراطورية مما اوجد وضع خاص لليهود بهم. ومن جهةٍ أخرى كان آنذاك في روسيا قوى إجتماعية لم يكن في صالحها البتة السماح لليهود بالإستقرار ومن اهم هذه القوى التجار الروس الذين كانوا يرزحون تحت عبء الضرائب بالإضافة إلى دخولهم في منافسة غير متكافئة مع بعض أعضاء طبقة النبلاء الذين اشتغلوا بالتجارة والذين كانوا يتمتعون بمزايا عديدة ومساندة البروقراطية الحكومية. وكان الحجم المالي للتجار الروس صغيراً في معظم الأحيان لا يحتمل دخول العنصر اليهودي النشيط الذي لا تكبله القيم المسيحية أو القوانين الطبقية.[2] فقد اشتكى تجار موسكو من أن "احتيال اليهود وأكاذيبهم المعروفة" جعلت المنافسة معهم مستحيلة. وحرصًا منها على حماية مصالحها الخاصة أكثر من قبول اتهامات

[1] عبد الوهاب المسيري، "روسيا القيصرية حتى عام 1855"، *موسوعة اليهود والصهيونية* (بيروت: دار الشروق، 1999)، مج 4، ص 361.
[2] المصدر السابق، مج 4، ص 361-362.

الخيانة اليهودية، قامت حكومة الإمبراطورة كاترين الثانية (حكمت من 1762 إلى 1796) بنفي التجار اليهود، مؤكدةً في الوقت نفسه المبدأ القانوني القائل بأن اليهود في الإمبراطورية لا يتمتعون إلا بالحقوق المخصصة لهم تحديدًا ولم تشمل هذه الحقوق الإقامة في المناطق الداخلية.[1]

وفي عام 1772 قُسِّمت بولندا أول مرة عام 1772 بين ورسيا والنمسا وبروسيا ومرة ثانية بين روسيا و بروسيا عام 1793 ومرة ثالثة عام 1795 بين روسيا وبروسيا والنمسا وضُمّ الجزء الأكبر منها إلى الإمبراطورية الروسية وبهذه الطريقة أصبح ما يقرب من 3 ملايين يهودي في بولندا وليتوانيا وغرب أوكرانيا وبسارابيا[2] تحت حكم روسيا[3] معظمهم أشكيناز[4]. وهناك نظريات تقول أن أحفاد هؤلاء الأشكيناز قد شكلوا السواد الأعظم من أتباع الحركة الصهيونية ومن المهاجرين اليهود الذين استوطنوا فلسطين وأقاموا دولة لهم فيما بعد[5] وهذا فسح المجال لظهور نظريات تقول ان نسبة كبيرة من يهود العالم الذين هاجروا من

---

[1] John Klier, "Pale of Settlement", *The Yivo Encyclopedia of Jews in Eastern Europe*, https://encyclopedia.yivo.org/article/246

[2] تسمى اليوم "مولدوفا Moldova".

[3] Edgardo Zablotsky, "The Project of the Baron de Hirsh. success or failure?" *SSRN Electronic Journal*, January 2005, DOI 10.2139/ssrn.998626. p. [3].

[4] هم اليهود الذين أسسوا مجتمعات على طول نهر الراين في ألمانيا وشمال فرنسا والتي يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى، وبمجرد الوصول إلى هناك قاموا بتكييف التقاليد المنقولة من بابل وفلسطين وغرب البحر الأبيض المتوسط إلى بيئتهم الجديدة، وفي أواخر العصور الوسطى وبسبب الاضطهاد الديني تحولت غالبية السكان الأشكناز بثبات نحو الشرق الأوروبي وانتقلت إلى المناطق التي أصبحت لاحقاً جزءاً من الكومنولث البولندي الليتواني الذي ضم أجزاء من بيلاروسيا الحالية ولاتفيا وليتوانيا ومولدوفا وبولندا وروسيا وأوكرانيا، أما لغتهم فكانت الييدشية وهي خليط من لغات اوروبية وعبرية.

[5] مثال على ذلك: "حاييم وايزمان" أول رئيس لإسرائيل ولد في قرية موتال Motal في بلاروسيا عام 1874 – "زئيف جابوتنسكي" قيادي في الحركة الصهيونية التصحيحية والمولود في خرسون بأوكرانيا عام 1880 – "إسحق ساديه" قائد قوات البلماح التي كان لها دور في تشريد وتهجير الفلسطينيين، ولد عام 1890 في مدينة لوبلن Lublin في بولندا – "موشيه شاريت" ثاني رئيس وزراء لإسرائيل ولد في خرسون باوكرانيا عام 1894 – "غولدا مائير" رابع رئيس وزراء لإسرائيل واول امراة تتبوأ هذا المنصب، ولدت في كييف باوكرانيا عام 1906 – "مناحن بيغن" سادس رئيس وزراء لإسرائيل و كان عضو مؤسس لمنظمة أرغون الصهيونية الشبه عسكرية، مؤسس حزب الحيروت الصهيوني، ورئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق كعضو عن الليكود .ولد بمدينة بريست لتوفيسك في بلاروسيا عام 1913.

أوروبا الشرقية هي من الخزر وليسوا من أصل سامي، مما استدعى رد معاكس من بعض اليهود وخصوصا الصهاينة.

كان وضع اليهود في المناطق البولندية التي ضُمت إلى روسيا بعد تقسيم بولندا متميزاُ تماماً من الناحية الثقافية والإجتماعية والوظيفية[1] حيث كانت أعداد منهم تعمل بنظام "أرندا Arenda" وهو مصطلح بولندي يُشير إلى استئجار أصول ثابتة أو امتيازات كالأراضي والمطاحن والنُّزل ومصانع الجعة ومصانع التقطير أو حقوق خاصة كتحصيل الرسوم الجمركية والضرائب، وقد استُخدم هذا المصطلح بالمعنى نفسه في اللغتين العبرية واليديشية[2] منذ القرن السادس عشر حيث يُطلق على المستأجر وخاصةً صغار المستأجرين اسم "أرندا" فانتشر نظام "أرندا" على نطاق واسع في اقتصاد بولندا وليتوانيا منذ أواخر العصور الوسطى.[3] وكان بين يهود تلك المناطق تجار وأصحاب حوانيت وباعة متجولون وحرفيون يعملون للنبلاء من طبقتي الإقطاعيين والفلاحين.

وحسب التقديرات كان التركيب الوظيفي لليهود في المناطق البولندية على النحو التالي: 1% فقط يعملون بالزراعة، 3% في الأعمال الدينية، 30% يعملون في نظام أرندا و 30% في التجارة والرهونات و 15% في الحرف المختلفة و 21% بدون وظيفة محددة.[4]

---

[1] المسيري، "روسيا القيصرية حتى عام 1855"، مج 4، ص 361.

[2] تعتبر هذه اللغة لغة اليهود الأشكناز، وتعد هذه اللغة شكلاً من الألمانية التي دخلت عليها بعض الكلمات السلافية والعبرية حين وصل اليهود إلى بولندا، أما كتابتها فهي تُكتب بحروف عبرية

[3] “Arenda”, *Jewish Virtual Library*, https://www.jewishvirtuallibrary.org/arenda-jewish-virtual-library.

[4] المسيري، "روسيا القيصرية حتى عام 1855"، مج 4، ص 362.

وكان أهم الأعمال التي مارسها اليهود في تلك الفترة في روسيا هي تقطير الخمور وبيعها في الحانات التي استأجروها من النبلاء في إطار نظام "أرندا" بالإضافة إلى الربا، أما التجارة فكانت طفيلية وكان معظم التجار اليهود يشتغلون بتهريب البضائع ويتهربون من دفع الضرائب نظرا لتواجدهم في المناطق الحدودية، ومع ذلك ظلت نسبة كبيرة من اليهود تعاني من الفاقة.

أما من الناحية الثقافية فكان اليهود في المناطق البولندية يتحدثون باللغة اليديشية وتميز مظهرهم الخارجي في الطريقة التي كانوا يحلقون بها رؤوسهم وفي أزيائهم المميزة وفي اسمائهم، كما ظهرت عزلتهم في نظامهم التعليمي المقصور عليهم وفي المدن الصغيرة التي عرفت بإسم "شتلت Shtetl" والتي اسسها النبلاء البولونديون التي ألف التجار والوكلاء والحرفين اليهود السواد الأعظم من سكانها، وهذا ادى أيضا إلى عدم إحتكاك اليهود مع باقي السكان.[1]

أصبحت المناطق في روسيا وأوروبا الشرقية التي تواجد بها اليهود تعرف فيما بعد بـ"منطقة الاستيطان"[2]، حيث أُلزم اليهود وبواسطة القانون منذ عام 1791 بالعيش فيها وأصبح مركز روسيا بما في ذلك سانت بطرسبرغ وموسكو منطقة محظورة عليهم إلا بموجب تصاريح إقامة خاصة مُنحت لبعض الحرفيين وأعضاء الطبقة البرجوازية.[3] ونتيجة لذلك، أصبح مرسوم "منطقة الاستيطان" عقبة لأي فرصة لليهود للتقدم اقتصاديًا كما كان بمثابة غيتو على نطاق واسع. وقد مُنع اليهود من العيش في أراضي هذه المنطقة التي تبعد 35 ميلًا تقريبًا من

---

[1] المسيري، "روسيا القيصرية حتى عام 1855"، مج 4، ص 362.

[2] تُعرف بالروسية باسم Черта́ осе́длости (شيرتا أسيدلوستي) و باليديشية דער תּחום-המושבֿ (در تخوم ها مويشف)، وبالعبرية: תְּחוּם הַמּוֹשָׁב (ثوم هاموشاف)، أما بالإنكليزية فترجمت إلى: Pale of Settlement.

[3] Zablotsky, “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, p. [3].

الحدود الروسية مع دول الجوار، والتي كانت مكتظة باليهود. كما أعلن الروس صراحةً أن اليهود يشكلون خطرًا، وبالتالي لا يمكنهم العيش بالقرب من الحدود فنتج عن ذلك إقتلاع حوالي 100,000 يهودي من مكان إقامتهم ليصبحوا مهجرين.[1] كما كان من أسباب تطبيق هذا النظام على اليهود هو الصراع الإجتماعي الذي نشأ بين التجار اليهود الذين إشتغلوا في تقطير الخمور وبيعها بالإضافة إلى إنخراطهم في أعمال الرهونات مع سكان الريف البولندي من جهة والريف الروسي من جهة ثانية حيث ألقي اللوم على اليهود بإعتبارهم مسؤولين عن تناول الفلاحين في الريف الخمور لدرجة السكر وإفقارهم بالإضافة إلى لجوء بعض الجماعات اليهودية للتهريب لتحقيق الربح، كل هذا حظر على اليهود ان يتحركوا خارج المناطق المحددة لهم.[2]

وقد غطت منطقة الإستيطان مساحة تبلغ حوالي 386,100 ميل مربع (حوالي مليون كلم مربع) إمتدت من بحر البلطيق إلى البحر الأسود[3] ، وكانت مساحتها أكثر من ضعف مساحة فرنسا المعاصرة (أنظر الخريطة بالأسفل)، والفرص الاقتصادية المتاحة داخل حدودها هشة مقابل الانفجار الديموغرافي حيث تضاعف عدد السكان اليهود في الإمبراطورية الروسية خمسة أضعاف بين عامي 1800 و1900.[4]

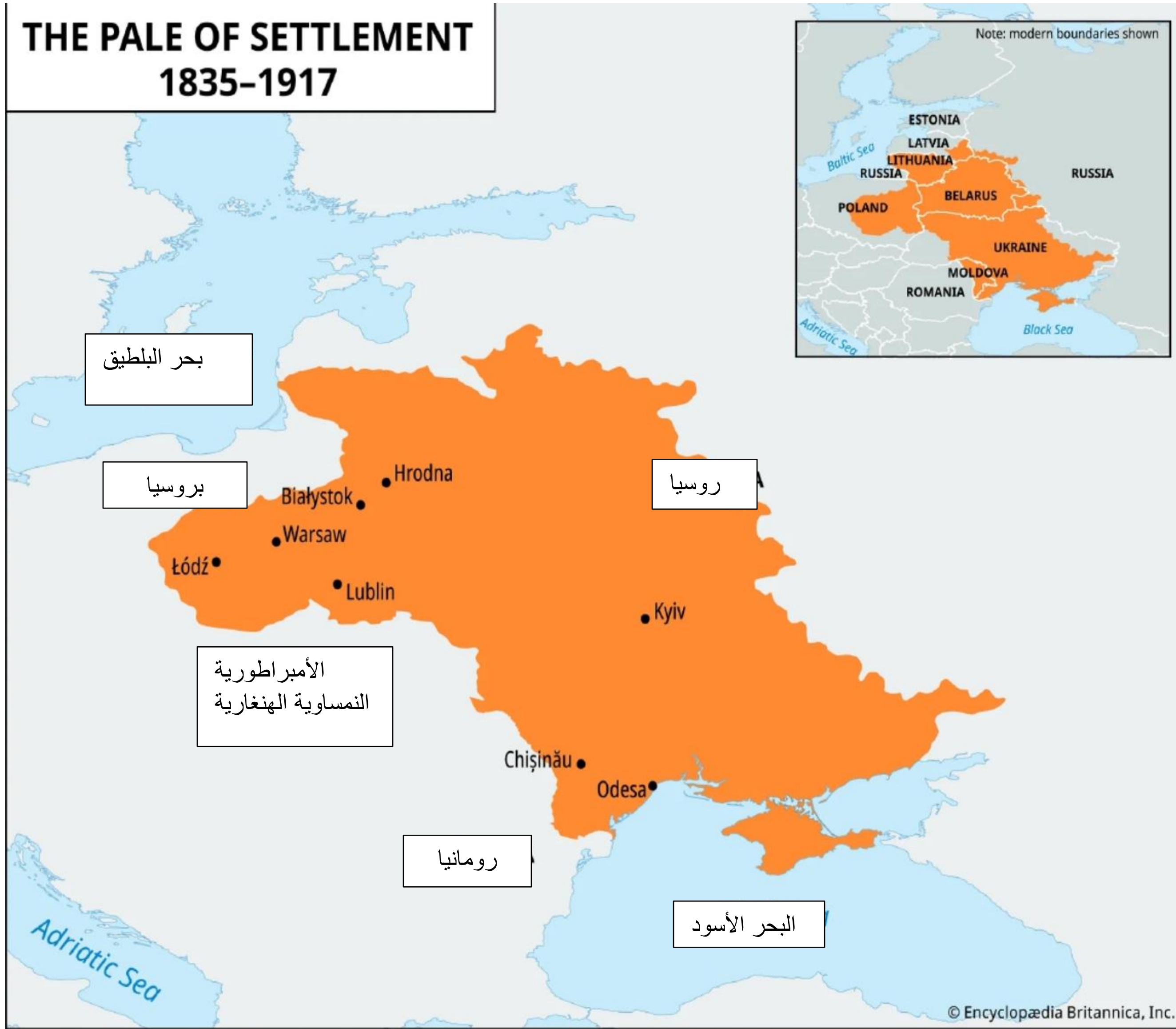
---

[1] “Jewish Russia, 1800-1850”, *Jewish History.org*, https://www.jewishhistory.org/jewish-russia-1800-1850/

[2] المسيري، "روسيا القيصرية حتى عام 1855"، مج 4، ص 367.

[3] “Modern Jewish history: The Pale of Settlement”, *Jewish Virtual Library*, https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement

[4] John Klier, “Pale of Settlement”, *The Yivo Encyclopedia of Jews in Eastern Europe*, https://encyclopedia.yivo.org/article/246



موقع منطقة الإستطيان اليهودي في روسيا (المصدر *Encyclopedia Britannica*)

خلال فترة حكم القيصر اسكسندر الأول (1801-1825)، تحسنت الظروف المعيشة لليهود بشكل ملحوظ بسبب موالاتهم لروسيا خلال الحرب النابليونية[1]

[1] "Jewish Russia, 1800-1850", *Jewish History.org*, https://www.jewishhistory.org/jewish-russia-1800-1850/

التي دارت في أوروبا بين عامي 1803 و 1815 بين فرنسا وتحالف دول أوروبية. وفي عام 1804 سهل هذا القيصر التوطين الزراعي اليهودي في منطقة خرسون بأوكرانيا فتم في عام 1806 نقل عدد كبير من العائلات اليهودية من منطقتي فيتبسك Vitebsk و موهيلف Mohilev (وكلاهما في بلاروسيا) إلى منطقة خرسون حيث بُنيت المستوطنات اليهودية على مسافات معينة من المناطق المسيحية، وكان يُحرم على المستوطنين اليهود شراء الأراضي في القرى المسيحية، ومع ذلك فإن اهتمام القيصر بإعادة توطين اليهود لم يكن إنسانياً، بل على حد تعبير أحد المفكرين في ذلك الوقت: "ضبط وكبح المصالح الأنانية لليهود".[1] إلا أنه في عهد القيصر نيقولا الأول (1825-1855)، شقيق وخليفة إسكندر الأول، تم صياغة التعبير "منطقة الإستيطان" رسمياً[2] عام 1825[3] و نفّذ هذا القيصر سياسات معادية لليهود بشكل واضح وسنّ قوانين تمييزية رغم معارضة وزرائه لها بدعوى الضرر الاقتصادي الذي ستُسببه، كما أمر بتجنيد اليهود في الجيش وخطط عام 1835 لنقل آلاف اليهود إلى سيبيريا وبالأخص إلى مديني توبولسك Tobolsk و أومسك Omsk،[4] كما طرد اليهود من المنطقة التي تُشكل الحدود الغربية لروسيا[5] بحيث أصبحت كل من منطقة أستراخان (التي تقع على نهر الفولغا على بعد حوالي 100 كلم عن

[1] H. R., "Agricultural colonies in Russia", *The Jewish Encyclopedia* (New York: Funk and Wagnalls, 1901-1906), v.1, p. 252.
[2] "Modern Jewish history: The Pale of Settlement", *Jewish Virtual Library*, https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement
[3] "Jewish Russia, 1800-1850", *Jewish History.org*, https://www.jewishhistory.org/jewish-russia-1800-1850/
[4] H. R., "Agricultural colonies in Russia", *The Jewish Encyclopedia* (New York: Funk and Wagnalls, 1901-1906), v.1, p. 253.
[5] Zablotsky, "The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?", p. [3].

شمال بحر قزوين) ومنطقة شمال القوقاز خارج نطاق منقطة الإستيطان بالإضافة إلى إصدراه لأوامر بطردهم من شريط عرضه 50 فيرست (حوالي 33 ميلاً او ما يعادل 53 كلم) يمتد على طول الحدود مع بروسيا والأمبراطورية النمساوية الهنغارية. واجه تطبيق هذا القانون صعوبات كثيرةٌ إذ أُعيدت صياغته في عام 1858 ليُطبّق فقط على اليهود الراغبين في الاستقرار في المنطقة الحدودية بعد ذلك العام، كما أُلغي قانونٌ مماثل كان مُطبّقًا على مقاطعات بولندا الروسية في عام 1862. وفي عام 1827 فُرضت قيودٌ صارمةٌ على إقامة اليهود في كييف، أكبر مدينة في أوكرانيا والتي كانت مركزًا تجاريًا هامًا للمناطق المحيطة بها ذات الكثافة السكانية اليهودية العالية.[1]

وفي عهد اسكندر الثاني (1818-1881) خُفّفت القيود المفروضة في منطقة الاستيطان عن فئات من اليهود الذين اعتُبروا منتجين اقتصاديًا أو مُحققين للسياسة الرسمية الساعية إلى دمج اليهود في المجتمع الروسي. ففي عام 1859 خففت القيود على التجار القادرين على دفع رسوم تسجيل النقابة الأولى، وفي عام 1861 لحاملي الشهادات الأكاديمية[2] وكذلك العاملين في المهن الطبية (مثل أطباء الأسنان والممرضين والممرضات والقابلات من عام 1879).[3] وقد جاء التغيير الأبرز في عام 1865 عندما سمح النظام للحرفيين اليهود بمغادرة منطقة الإستيطان وهو بندٌ ينطبق على خُمس السكان اليهود هناك. وقد ضمنت اللوائح

[1] "Modern Jewish history: The Pale of Settlement", *Jewish Virtual Library,* https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement
[2] John Klier, "Pale of Settlement", *The Yivo Encyclopedia of Jews in Eastern Europe,* https://encyclopedia.yivo.org/article/246
[3] "Modern Jewish history: The Pale of Settlement", *Jewish Virtual Library,* https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement

البيروقراطية المُرهِقة التي صاحبت هذا التشريع انخفاضًا نسبيًا في عدد اليهود الذين يُمكنهم الاستفادة منه،[1] كما تم منح حق الإقامة في جميع أنحاء روسيا للكانتونيين الذين ظلوا يهودًا ولذريتهم (أي ما يسمى "جنود نيقولا").[2] و"الكانتونيون" هو مصطلح أطلق على الجنود القاصرين في الإمبراطورية الروسية، ومن بينهم تحديدًا العديد من الصبية اليهود بين عامي 1827 و 1856 إذ اعتبرت السلطات الحكومية التجنيد ومدة الخدمة المليئة بالحرمان هي أدوات لاستيعاب السكان اليهود وتحديثهم[3] ولقهر اليهود في روسيا وإجبارهم على التحول إلى المسيحية وللمساعدة في إبادة بعضهم وإرسال رسالة إلى البقية بأنهم ليس لديهم مستقبل في روسيا، كما أصدرت الحكومة الروسية مرسومًا مفاده أنه لم يعد من المقبول دفع الأموال للإعفاء من الجيش وأن جميع المجتمعات اليهودية يجب أن تلتزم بالخدمة العسكرية.[4]

كان اليهود يأملون أن تكون خطوة خفص القيود بمثابة بداية الخطوات الأولى نحو الإلغاء الكامل لحدود الاستيطان، إلا انهم أصيبوا بخيبة أمل عندما توقفت هذه التخفيفات تمامًا بعد إغتيال القيصر إسكندر الثاني سنة 1881 فعاد خليفته أسكندر الثالث إلى سياسات نيقولا الأول في معاداة اليهود بعد ان سرت إشاعات بتورطهم بهذا الإغتيال فسعت حكومته وطبقة النبلاء إلى توجيه غضب السكان

[1] John Klier, "Pale of Settlement", *The Yivo Encyclopedia of Jews in Eastern Europe*, https://encyclopedia.yivo.org/article/246
[2] "Modern Jewish history: The Pale of Settlement", *Jewish Virtual Library*, https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement
[3] Christhardt Henschel, "Cantonists", *Encyclopedia of Jewish History and Cultures Online*, https://referenceworks.brill.com/display/entries/EJHC/COM-0395.xml?language=en
[4] "Jewish Russia, 1800-1850", *Jewish History.org*, https://www.jewishhistory.org/jewish-russia-1800-1850/

الناجم عن إغتيال القيصر السابق نحو اليهود، وشجعت هذه الحكومة أو على الأقل تسامحت، مع سلسلة من الأعمال العنف و المذابح ضدهم التي هزت جنوب الإمبراطورية في عامي 1882/1881 (بلغ عددها حوالي 200 في فترة عام واحد) وكانت هذه المذابح هي الأولى في سلسلة من الهجمات الجسدية على اليهود وممتلكاتهم.[1] كانت ردة الفعل الدولية على هذه الحوادث فوريًا تقريبيًا، فقد قدّمت حكومة الولايات المتحدة احتجاجًا رسميًا، وقُدّم احتجاجٌ بريطاني رغم أن أعضاء مجلس العموم لم يُقرّوه قط.[2]

ومع حدوث التحولات الإقتصادية والإجتماعية التي بدأت تنتشر في المجتمع الروسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبح من الصعب على اليهود بتركيبتهم الثقافية ونشاطهم الاقتصادي من العيش بوئام في المجتمع الروسي مما أدى إلى مضايقتهم ومعاداتهم وأحيانا قتهلم من قبل الروس، وقد نتج عن ذلك فيما بعد ما أطلق عليه في تلك الفترة "المسألة اليهودية". ومن شدة التنكيل الروسي باليهود في ذلك الوقت أدخلت كلمة "بوغروم" (pogrom) погром الروسية، والتي تعني "مذبحة" في معظم اللغات الأوروبية، واضحت هذه الكلمة تتناول أي مذبحة يتعرض لها أي شعب. أدى هذا الوضع إلى خلق مشكلة بين اليهود والأكثرية الأخرى، حيث رأى فيها اليهود أن الآخرين يكرهونهم أو بما صار يطلق عليه باختصار فيما بعد بعبارة "معاداة السامية".[3]

---

[1] Zablotsky, “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, p. [4].
[2] Winsberg, p.2.
[3] من المغالطات في هذه التعبير أنه مع انتماء العرب والبابليين والكلدانيين والفينيقيين واآلشوريين والعبرانيين إلى الساميين، فإن معاداتهم لا تصنف معاداةً للسامية، إذ إن المقصود الفعلي من هذا التعبير هو "معاداة اليهود" أو "نبذ اليهود من المجتمع" أو "مناهضة اليهود" لأنهم الممثلون الوحيدون للجنس السامي في أوروبا.

وصلت المذابح ضد اليهود وغيرها من مظاهر معاداة السامية في جميع أنحاء روسيا في عام 1882 إلى أبعاد جعلت القيصر يضطر في النهاية إلى إصدار "القوانين المؤقتة" التي صدرت في شهر أيار/مايو لعام 1881 والتي حظرت أي توطين جديد لليهود خارج المدن والبلدات في منطقة الاستيطان (لم ينطبق هذا القانون على منطقة فيستولا في بولندا) كما سُمح لليهود الذين كانوا يعيشون في القرى قبل نشر المرسوم بالإقامة في تلك القرى نفسها فقط ومُنح الفلاحون الحق في المطالبة بطرد اليهود الذين يعيشون بينهم.[1] وحتى داخل منطقة الاستيطان، مُنع اليهود من الاستيطان في ضواحي المدن والبلدات ومن حيازة الأراضي في المناطق الريفية ومن ممارسة الأعمال التجارية أيام الأحد أو أي أعياد مسيحية أخرى فلم يكن أمام اليهود المقيمين في المناطق الحضرية خيار سوى البقاء هناك، واضطر المقيمون في الريف إلى الانتقال إليها فتقلصت مساحة الأراضي التي يُسمح لهم بالإقامة فيها قانونيًا بنسبة 90%،[2] وبعد عدة سنوات تم استبعاد أماكن جديدة من منطقة الاستيطان مثل روستوف وتاغانروغ (1887) وكلاهما في شمال القوقاز بالإضافة إلى مدينة يالطا (1893) في شبه جزيرة القرم.[3]

وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك قيود صارمة أخرى مثل قانون "تحديد العدد" المعروف باللغة الاتينية باسم "numerus clausus" الذي صدر عام 1887

---

[1] “Modern Jewish history: The Pale of Settlement”, *Jewish Virtual Library,* https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement
[2] Zablotsky, “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, p. [4].
[3] “Modern Jewish history: The Pale of Settlement”, *Jewish Virtual Library,* https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement

والذي حدد حصة القبول في المدارس الثانوية والمدارس العليا، فعلى سبيل المثال، في منطقة الاستيطان، قبلت المدارس 10% من اليهود، بينما انخفضت النسبة خارج هذه المنطقة إلى 5%، وفي موسكو وسانت بطرسبرغ كانت 3%، بالإضافة إلى قيود خاصة فُرضت عام 1889 على قبول المحامين اليهود في نقابة المحامين.[1]

شعر السكان اليهود بعد صدور هذه القوانين بالخوف من العنف والقيود الجديدة، فبدأوا يبحثون عن مخرج من الإمبراطورية الروسية، فانطلق آلاف منهم نحو الحدود وازدادت الهجرة، التي بدأت بشكل طفيف في النصف الثاني من سبعينيات القرن التاسع عشر، قوةً من جديد. وعند عبورهم الحدود الغربية في الإمبراطورية النمساوية المجرية لم تكن ظروفهم المعيشية أفضل بكثير وهكذا، بدأوا عملية هجرة عفوية مطردة نحو الولايات المتحدة إذ تضاعف عدد السكان اليهود هناك في غضون عشر سنوات.[2]

ومن ناحية أخرى، أقام عشرات الآلاف من اليهود بشكل غير قانوني خارج منطقة الاستيطان دون الحصول على تصريح الإقامة اللازم وعاش آخرون على هامش النظام القانوني مسجلين كخدم أو حرفيين لكنهم مارسوا مهنًا أخرى.[3] وقد أجرت سلطات مدينة كييف حملات تفتيش دورية لليهود المقيمين بشكل غير قانوني مما أدى إلى إعادتهم إلى منطقة الاستيطان مكبلين بالسلاسل تحت حراسة عسكرية. كما شنت كل من سانت بطرسبرغ وموسكو حملات قمع متقطعة ضد

---

[1] Zablotsky, "The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?", p. [4].

[2] المصدر السابق، ص [4].

[3] John Klier, "Pale of Settlement", *The Yivo Encyclopedia of Jews in Eastern Europe,* https://encyclopedia.yivo.org/article/246

اليهود المقيمين بشكل غير قانوني وكان أشهر هذه الإجراءات طرد "غير الشرعيين" من موسكو عام 1891،[1] حيث تم خلال عامي 1891 و1892 طرد آلاف الحرفيين اليهود وعائلاتهم من موسكو.[2] وفي عام 1891 أُجبر اليهود الذين كانوا لا يزالون يقيمون في موسكو وسانت بطرسبرغ فجأةً على بيع ممتلكاتهم التي عاشوا فيها لأجيال ومغادرة المدينتين، أما من لم يتمكنوا من بيع ممتلكاتهم بسرعة (و كان البيع في معظم الحالات بأسعار أقل من التكلفة) فقد زُج بهم في السجن، وهكذا، أُجبر 20 ألف يهودي يعيشون في موسكو على الانتقال إلى "منطقة الاستيطان".[3]

أدى الانحصار في منطقة الاستيطان المكتظة، وزوال فرص امتلاك الأراضي والعمل الزراعي، وإنعدام الحصول على التعليم وممارسة بعض المهن، بالإضافة إلى النمو الديموغرافي القوي وتوسع المدن إلى تدهور الظروف المعيشية بشكل كبير لليهود في الإمبراطورية الروسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد نتج عن هذا التحضر في روسيا طلبًا هائلاً على السلع الاستهلاكية، مستبدلًا عمل الحرفيين الفرديين بالإنتاج الصناعي ومؤديًا إلى تطوير شبكات السكك الحديدية. وقد ابتعدت التجارة الواسعة النطاق التي شجعها التصنيع عن صغار التجار المحليين وهم عادةً يهود بسبب القيود المفروضة

---

[1] المصدر السابق.

[2] "Modern Jewish history: The Pale of Settlement", *Jewish Virtual Library*, https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement

[3] Zablotsky, "The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?", p. [5].

على ممارستهم لأي نشاط آخر. ومع نهاية ثمانينيات القرن التاسع عشر، شجع التدهور الشديد في الظروف المعيشية مجددًا على الهجرة الطوعية.[1]

ووفقًا لتعداد عام 1897 كان هناك 4,899,300 يهودي شكلوا 94٪ من إجمالي السكان اليهود في روسيا وحوالي 11.6٪ من إجمالي سكان منطقة الإستيطان. وكانت أكبر الشعوب الأخرى التي تعيش داخل تلك منطقة هي الأوكرانية والبولندية والبيلاروسية والروسية والليتوانية والمولدافية (معظمها في بسارابيا) والألمانية وقد تركزت هذه (باستثناء الألمان) بشكل أساسي في مناطقها الإقليمية، حيث شكلت غالبية السكان. وكان اليهود أقلية في كل مقاطعة وكانت أكبر 10 مجتمعات لليهود هي وارسو في بولندا (219149 شخصًا)؛ أوديسا في اوكرانيا (138915)؛ لودز Lodz في بولندا (98677)؛ فيلنوس Vilnius في لتوانيا (64000)؛ كيشيناو Kishinev في مولدوفا (50237)؛ مينسك Minsk في بيلاروسيا (47562)؛ بياليستوك Białystok في بولندا (41900)؛ بيرديتشيف Berdychiv في أوكرانيا (41617)؛ دنيبرو Dnipro في أوكرانيا (40009)؛ فيتيبسك Vitebsk في بيلا روسيا (34,470)، وكييف في اوكرانيا (31,800).[2] وفي تعداد آخر لعام 1897 تبين أنه من بين 5,215,805 يهوديًا، كان 94% يعيشون في منطقة الاستيطان، وكان 80% منهم يعيشون في المناطق الحضرية، ويمثلون 38% من سكان المناطق الحضرية في المنطقة المذكورة.[3]

---

[1] المصدر السابق، ص [5].

[2] "Modern Jewish history: The Pale of Settlement", *Jewish Virtual Library*, https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement

[3] Zablotsky, "The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?", p. [4].

ومع ذلك، لم يكن ضيق المساحة هو الأمر الذي مهلكاً لليهود فقط، بل قُيدوا أيضًا في مهنهم وأعمالهم بفعل الظروف التاريخية. فقد تركزوا في التجارة (38.6% من اليهود الذين كانوا يعملون بأجر) والحرف (35.4%)؛ وكان 72.8% من إجمالي المشتغلين بالتجارة داخل منطقة الاستيطان من اليهود، بالإضافة إلى 31.4% من المشتغلين بالحرف، وتركز الحرفيون اليهود في فروع معينة من الحرف (الخياطة وصناعة الأحذية) وقليل منهم كان لديه إمكانية العمل في الزراعة، وكانت المنافسة بين التجار وأصحاب المتاجر والحرفيين شديدة مما أدى إلى إفقارهم وظهور طبقة عمال يهود لا يملكون وسائل الانتاج ولم يكن من الممكن دمجهم في المجتمع.[1]

وبوجهٍ عام، كان غالبية يهود روسيا في القرن التاسع عشر من الحرفيين أو من البرجوازية الصغيرة يعيشون في القرى والمدن. وقد منعت سنوات الهجرة القسرية من مكان إلى آخر العديد من اليهود الروس من الاستثمار في شيء ثابت كالأرض، وكثيرًا ما كان اليهود الروس الذين سعوا لشراء العقارات يصطدمون بالقانون القيصري الذي يحظر على اليهود تملك الأراضي.

أدى هذا الوضع، إلى جانب المراسيم المتواصلة المعادية لليهود وموجات المذابح، لا سيما خلال الأعوام 1881-1884 إلى تدفق مستمر للهجرة اليهودية من منطقة الاستيطان إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة. إلا أن هذه الهجرة الكبيرة لم تكن كافية لموازنة النمو الطبيعي لليهود في منطقة الاستيطان.[2] وقد

[1] "Modern Jewish history: The Pale of Settlement", *Jewish Virtual Library*, https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement

[2] المصدر السابق.

قُدِّر أن 30 ألف يهودي هاجروا إلى الولايات المتحدة من روسيا بين عامي 1869 و1880، ولكن في فترة أربعة أشهر من أيار/مايو إلى آب/أغسطس 1891 غادر روسيا حوالي 35 ألف يهودي، وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر وصل ما يقرب من مليون يهودي إلى العالم الجديد، وكان أغلبهم من روسيا وبولندا.[1]

في هذا السياق من الأحداث والأوضاع ليهود روسيا القيصرية حاول البارون دو هيرش تحسين الظروف المعيشية لليهود في منطقة الاستيطان ولما لا يحصل على مبتغيه عمد إلى البحث عن مكان آخر لنقلهم والعيش فيه، فوقع إختياره في النهاية على الأرجنتين في أميركا الجنوبية، وهو موضوع الفصل التالي.

[1] Winsberg, p. 3.

الفصل الثالث

لماذا الأرجنتين

وكيف بدأت الهجرة اليهودية إليها

من روسيا



خريطة الأرجنتين

نظراُ للأوضاع الصعبة التي عانى منها اليهود في روسيا حاول البارون دو هيرش أولاً تحسين الظروف المعيشية في منطقة الاستيطان كما فعل في شرق أوروبا والإمبراطورية النمساوية المجرية. ولتحقيق هذه الغاية اقترح عام 1890 على الحكومة الروسية القيصرية إنشاء صندوق بقيمة 10,000,000 دولار أميركي (أي ما يعادل 260,000,000 دولار أميركي في عام 2005)، بهدف إنشاء وتشغيل مدارس فنية وزراعية في منطقة الاستيطان؛ واستمرت عملية التفاوض مع الحكومة لمدة عام، لكن الأخيرة طلبت إدارة الصندوق بنفسها وهو شرط لم يكن مقبولاً بتاتًا بالنسبة لهيرش الذي اعتبر منذ ذلك الحين أن البديل الوحيد القابل للتطبيق هو الهجرة المنظمة وإعادة توطين اليهود في بلدان أخرى، [1] وكانت خطة هيرش تهدف في نهاية المطاف إلى ترحيل جميع اليهود من روسيا، وهذا ما أرادته الحكومة الروسية.[2] وهكذا، تم التوصل إلى اتفاق بين هيرش والحكومة الروسية يتولى بموجبه هيرش مسؤولية نقل اليهود من روسيا بينما تُصدر الحكومة جوازات سفر لهم بعد ان كانوا منعوا من الحصول عليها حتى ذلك الحين، كما إشترطت الحكومة على أنه لا يُسمح لليهودي الذي غادر البلاد بالعودة إلا بإذن خاص.[3]

ولتحقيق هذا الهجرة، أجرى هيرش تحقيقاتٍ دقيقةً في البلدان التي توفر أراضٍ مناسبةً للتنمية الزراعية، فأرسل وكلاءَ لإجراء تحقيقاتٍ في أنحاءٍ مختلفةٍ من

---

[1] Zablotsky, “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, p. [5].

[2] Winsberg, p. 6.

[3] المصدر السابق، ص 7,

أميركا، والبرازيل والمكسيك وكندا والأرجنتين.[1] وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة كانت الوجهة المفضلة للهجرة الطوعية إلا أنها لم تكن الوجهة المناسبة لمشروع بهذا الحجم الذي تصوره هيرش. فكانت لجنة الإغاثة الأميركية تعارض بالفعل تسهيل الهجرة الجماعية وقت إنشاء صندوق البارون دو هيرش، فلم يجد هيرش نفسه أنه من المناسب زيادة التركيز على مكان الهجرة ولا على اليهود المهاجرين لذلك رأى أن الإستيطان الجديد لليهود يجب أن يوزّع على مساحة واسعة في بلدان أخرى حتى لا تُثير انقسامات دينية أو اجتماعية. ونظرًا لضرورة البحث عن وجهات أخرى، فضل البارون دو هيرش إلى الأرجنتين.[2]

لماذا الأرجنتين

بالنسبة إلى هيرش، تم اختيار الأرجنتين في النهاية لأنها توفر الظروف الأكثر ملاءمة للنجاح، فبها الكثير من الأراضي الجيدة التي يمكن الحصول عليها بتكلفة معقولة، ويقطنها شعب متعدد الأصول والأعراق، وفوق كل ذلك بها حكومة متحررة من التعصب الديني أو العنصري ومستعدة للمساعدة في توطين النوع المناسب من المهاجرين، و بما أن الأرجنتين كانت تعاني في تلك الفترة من أزمات اقتصادية دورية فكان من الممكن شراء الأراضي بأسعار رخيصة للغاية.[3]

[1] Isidore Singer and Oscar S. Straus, “Hirsch, Baron Moritz Freiherr von Hirsch auf Gereuth“, *Jewish Encyclopedia*, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth

[2] Zablotsky, “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, pp. [5-6].

[3] Joseph, p. 12.

وضع اليهود في الأرجنتين قبل ولادة مشروع هرش

يعود تاريخ اليهود في الأرجنتين إلى أوائل القرن السادس عشرحيث هاجر اليهود السفارديم[1] مع المستكشفين والمستعمرين فارين من الاضطهاد ومحاكم التفتيش[2] ليستقروا فيما يُعرف الآن بالأرجنتين، وسرعان ما اندمجت هذه الأجيال اليهودية في المجتمع الأرجنتيني الذي خضع للإستعمار اللإسباني. خلال هذه الفترة لم يظهر مجتمع يهودي منظم إلا بعد استقلال الأرجنتين عن إسبانيا عام 1816 وبعد إلغاء الجمهورية الجديدة لقوانين محاكم التفتيش التي كانت تمنع الحرية الدينية. حاولت هذه الجمهورية أن تحذو حذو دول أوروبا الغربية بتنظيم وصول مهاجري الطبقة المتوسطة من فرنسا وبريطانيا وألمانيا لكن وصل بدلاً منهم جموع من المهاجرين الفقراء من إسبانيا وإيطاليا وروسيا وأوروبا الشرقية. فقد جاء بعضهم بحثًا عن العمل، والبعض الآخر بحثًا عن الحرية بشكل عام وحرية ممارسة شعائرهم الدينية بشكل خاص. في عام 1825 منحت الحكومة الأرجنتينية حرية الدين للمواطنين من جميع الأديان، لكن هذه الحرية ظلت مقتصرة على المجال الخاص. وبعد ثمانية وعشرين عامًا، منح

---

[1] السفارديم هم اليهود الذين تعود أصولهم إلى شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال)، ثم انتشروا في شمال أفريقيا وآسيا الصغرى والشام بعد طردهم منها في القرن الخامس عشر، ويتميز السفارديم بطقوسهم وتقاليدهم الثقافية المميزة، ويتحدثون لغة "لادينو" التي تجمع بين العبرية والإسبانية.

[2] هي محاكم كاثوليكية أنشأتها البابوية بداية القرن الـ13 واستمرت حتى القرن الـ16 من أجل "حماية نقاء المعتقد ضد التعاليم الخاطئة"، وأعطت القائمين عليها صلاحيات شاملة لمحاربة كل مخالفيها والمتهمين بالهرطقة والزندقة. ثم انتشرت المحاكم في أوروبا كلها، إلا أن محاكم إسبانيا خصيصا اشتهرت تاريخيا بطرق التعذيب التي انتهجتها ضد المسلمين واليهود والمسيحيين المخالفين لمعتقدها، أما في إسبانيا فقد أسس محاكم التفتيش الملوك الكاثوليك فرناندو الثاني وإيزابيلا الأولى في 1478 بموافقة البابا سيكستوس الرابع ومهمتها الحفاظ على العقيدة الكاثوليكية في الممالك الإسبانية. المصدر: "محاكم التفتيش الإسبانية اعتناق الكاثوليكية أو التعذيب حتى الموت"، *الجزيرة نت*، https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2024/2/25

الدستور الجديد حرية دينية كاملة تُوِّجت بقانون الزواج المدني عام 1888. فخلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت اتفاقياتها القانونية مبنية على القوانين الإسبانية وإملاءات الكنيسة الكاثوليكية حيث حددت القوانين الأبوية وضع المرأة وألزمتها بوالدها أو زوجها وحرمتها من بعض الحقوق مثل الحق في الملكية إلا إذا كانت أرملة. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مستلهمة من عصر التنوير، تطورت الحكومة الليبرالية الأرجنتينة بالفعل لصالح حق الفتيات في التعليم وشجعت النساء على أن يصبحن معلمات. قبل ذلك وفي عام 1862 أسست مجموعة صغيرة من المهاجرين اليهود الفرنسيين والألمان والإنكليز "الجماعة الإسرائيلية[1] الأرجنتينية" أو ما عُرف بالإسبانية تحت إسم Congregación Israelita Argentina (CIRA) التابعة للطائفة الأشكنازية[2] فأشرفت الجماعة على طقوس الذبح على الطريقة اليهودية، وحفلات الزفاف، والختان، والدفن، والصلاة المنتظمة في الكنيس (أي معبد اليهود)، بينما بنى اليهود السفارديون، وهم فئة تألفت آنذاك في المقام الأول من المهاجرين اليهود من الإمبراطورية العثمانية والبلقان والمغرب الإسباني[3]، مؤسساتهم على غرار أماكن أوطانهم الأصلية.[4]

في عام 1890 أي قبل بدئ مشروع هيرش، تأسست أول مستوطنة يهودية في مقاطعة سانتا فه [5] Santa Fé وسُمِّيت مويسفيل Moïseville وإسمها الأصلي

---

[1] يقصد بها "اليهودية" وليس الدولة التي اسسها اليهود في فلسطين عام 1948.
[2] للإطلاع على هذه الطائفة راجع الهامش رقم 1 في مقدمة هذا الكتاب.
[3] هي المنطقة الشمالية من المغرب التي احتلتها إسبانيا لتصبح محمية تابعة لها بموجب الاتفاقية الفرنسية الإسبانية الموقعة في 27 تشرين الثاني/نوفمبر 1912 و كانت عاصمتها مدينة تطوان.
[4] Jacqueline Laznow, "Argentine Jews, between the Old and New Worlds," 27 January, 2022, https://k-larevue.com/en/argentine-jews-between-old-and-new-world/
[5] تقع هذه المستوطنة على بعد حوالي 473 كلم شمال شرق بوينس ايرس.

كريات موشيه (مدينة موسى بالعبرية) أطلقه عليها الزعيم الروحي لسكان هذه المستوطنة الحاخام أهارون هاليفي غولدمان Aharon Halevi Goldman وأوضح أنه كما حرر موسى اليهود من عبودية مصر وقادهم إلى بلد حر فإن هذه الجالية قد تركت وراءها طغيان روسيا وشقت طريقها إلى الأرجنتين،[1] وعرفت فيما بعد باسم باسم "اورشليم الأرجنتين" نظرًا لطغيان العقيدة اليهودية فيها. و مويسفيل هي أقدم المستوطنات الزراعية اليهودية في الأرجنتين حيث أسست قبل إنشاء جمعية الاستيطان اليهودي، ولكن أعادت تلك الجمعية تنظيمها عام 1891. ضمت مويسفيل مساحة 60000 فدان (24000 هكتار) بما في ذلك عقارات فيرجينيا وسانتا إيلينا ومويسفيل منها 22500 فدان يشغلها المستوطنون. وعلى الرغم من أنها مرت بعدة أزمات خطيرة إلا أنها تعتبر من أنجح المستوطنات الأرجنتينية ويعزى نجاحها إلى المستوطنين الذين كان لديهم الوقت لاكتساب الخبرة التي يحتاجونها وإلى المساعدة التي قدمتها لهم جمعية الاستيطان اليهودي من خلال إنشاء حقول البرسيم التي لم تساعد على تربية الماشية فحسب، بل تنتج أيضًا علفًا يجد سوقًا جاهزًا في الأجزاء الشمالية من الأرجنتين حيث العلف نادرًا في كثير من الأحيان. تقع المستوطنة على بُعدٍ متساوٍ من محطتي قطار بالاسيوس Palacios ومويسفيل، اللتين يربط بينهما طريقٌ جيد، مما يوفر تسهيلاتٍ واسعةً لنقل المحاصيل إلى الأسواق. ومع الوقت

---

[1] "Moisés Ville", *Wikipedia*, https://en.wikipedia.org/wiki/Moises_Ville

أصبحت مويسفيل مركزًا لشراء المؤن للمستوطنين المجاورين، حيث قدم إليها العديد من المستوطنين الإيطاليين لهذا الغرض.[1]

كيف إنطلقت فكرة هيرش لهجرة يهود روسيا إلى الأرجنتين؟

للإجابة على هذا السؤال، لا بد من العودة إلى 19 تشرين الأول/ أكتوبر من عام 1876 عندما أصدر رئيس الأرجنتين نيكولاس أفيلاندا Nicolás Avellaneda قانون الهجرة والاستعمار (القانون رقم 817)، بالإسبانية la Ley de Inmigración y Colonización، الذي رسّخ صورة الأرجنتين كدولة، وجدير بالذكر أن قانون الهجرة والإستعمار لم يتضمن أي قيود دينية مما جعل الهجرة اليهودية ممكنة. ورغم أن القانون لم يحدّ من الهجرة الطوعية، إلا أنه شجّع بشدة الهجرة "الاصطناعية" أي الهجرة التي رعتها الحكومة الأرجنتينية. وتقرر إنشاء إدارة الهجرة لتطبيق القانون شملت مهامها فتح مكاتب للهجرة في الدول الأوروبية لتكون مسؤولة عن الإعلان عن الفرص وتنظيم المهاجرين، وفي الوقت نفسه، إنشاء لجان محلية لتوجيه الوافدين الجدد إلى جميع مناطق الجمهورية. وكان من المقرر أن تشرف الإدارة على السفن التي تحمل المهاجرين، وتشارك في إنزالهم، وتساعدهم في إيجاد فرص عمل،

[1] Max Rosenthal, “Agricultural colonies in the Argentine Republic (Argentina)”, *Jewish Encyclopedia*, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/905-agricultural-colonies-in-the-argentine-republic-argentina

لا سيما في المناطق الداخلية، وتمثلهم أمام السلطات في جميع المسائل القانونية المتعلقة برحلتهم وتحتفظ بسجل مفصل للمهاجرين.[1]

لم يكن لهذا القانون أثر فوري فكانت السنوات الأربع التي تلت سنّهُ وإقراره بالغة الأهمية للأرجنتين. فقد أدى غزو الصحراء جنوب البلاد في منطقة باتاغونيا Patagonia الذي جرى بين عامي 1878 و1879 إلى خضوع أراضٍ شاسعة لحكم الجمهورية و إلى إزالة ملكية السكان الأصليين للأراضي بشكل فعال ومنح الدولة 245 ألف ميل مربع إضافية معظمها غير مأهولة وغير مستغلة. ومع تولي خوليو أرجنتينو روكا Julio Argentino Roca منصب الرئيس في 12 تشرين الأول/اكتوبر 1880 توحدت الأرجنتين وأصبحت مساحات شاسعة من الأراضي البكر تحت تصرف روكا، وهي أراضٍ مثالية لبدء السياسة النشطة للسكان والاستعمار التي وُضعت خلال فترة رئاسة أفيلاندا.[2]

انتشرت أخبار مذابح اليهود من قبل الروس التي وقعت في أيار/مايو 1881 في جميع أنحاء أوروبا وكان وقت تلك الواقعة أنسب فترة لهجرة اليهود من روسيا، إذ علم عنها كارلوس كالفو Carlos Calvo، ممثل إدارة الهجرة الأرجنتينية في باريس الذي سارع إلى الاتصال بشخصياتٍ مهمةٍ يعرفها في سانت بطرسبرغ لتوجيه جزءٍ من اليهود الراغبين في الهجرة إلى الأرجنتين. وقد دعمت إدارة روكا هذه المبادرة بإصدار مرسومٍ في 6 آب/أغسطس 1881

[1] Zablotsky, "Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch", p. 19.

[2] المصدر السابق، ص 20.

بتعيين خوسيه ماريا بوستوس José María Bustos وكيلًا فخريًا في أوروبا مع لجنةٍ خاصةٍ لتوجيه هجرة اليهود التي بدأت في الإمبراطورية الروسية نحو الأرجنتين.[1] وقد أشارت بعض الصحف اليهودية في أوروبا آنذاك إلى استعداد الأرجنتين لاستقبال المهاجرين اليهود؛ فعلى سبيل المثال، أفادت صحيفة "كوريير وارسو Kurier Warszaw" الصادرة في وارسو عاصمة بولندا حاليا، أن تاجرًا إيطاليًا مقيمًا في كييف، يُدعى نيزوليني Niezolini تلقى برقية من جمهورية الأرجنتين في أميركا الجنوبية تطلب منه إقناع اليهود والمهاجرين بالتوجه إلى تلك الجمهورية، مشيرةً إلى أنه سيساعد في تحقيق هذه الرغبة. وبالمثل، أفادت التقارير أن الحكومة الأرجنتينيه أرسلت وكيلًا إلى جنوب روسيا يحمل تعليمات لدعوة السكان اليهود للهجرة إلى الأرجنتين.[2] لم يمضِ بوستوس في منصبه سوى عام واحد وفشل في هذه المهمة. ولعلّ تقاعسه وقلة اهتمام التحالف الإسرائيلي العالمي بمقترحات غير صادرة مباشرةً عن أعلى مستويات الحكومة ساهم في فشله.

ومن ناحيةٍ أخرى، لم يعتبر اليهود في روسيا القيصرية الأرجنتين بلدًا مناسبًا للهجرة نظرًا لموقعها البعيد[3] (أنظر الخريطة بالأسفل) وقلة معرفتهم بظروفها الاقتصادية السائدة، وكونها منطقة متخلفة اقتصاديًا، بالإضافة إلى نفورهم الطبيعي من بلد يرتبط بإسبانيا الكاثوليكية بروابط اللغة والدين والتقاليد التي

[1] Zablotsky, “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, p. [6-7].

[2] ------------, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 20.

[3] تبلغ المسافة بين مرفأ سانت بطرسبرغ في روسيا، وبوينس آيرس، الأرجنتين، حوالي 13,195 كيلومترًا (8,199 ميلًا)، وهذه مسافة تعد طويلة جدا إذ تقع الأرجنتين بالقسم الجنوبي من الكرة الأرضية في أميركا الجنوبية، و روسيا في القسم الشمالي من الكرة الأرضية في أوروبا.

طردت اليهود من أراضيها عام 1492، حيث إعتبر اليهود الروس ان ذلك قد يُبقي على قوانين تقيد حريتهم.[1]



موقع روسيا والأرجنتين في العالم

ورغم فشل المحاولة الأولى لاستقدام أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود الروس إلى الأرجنتين على يد بوستوس، إلا أنها أحدثت تأثيرًا طويل الأمد من خلال مقالات عرضية نُشرت في الصحافة اليهودية في أوروبا والتي بدأت من خلالها الأرجنتين تُعرف في المجتمعات في روسيا كدولة ذات إمكانات لاستيطان

[1] Zablotsky, "The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?", p. [7].

اليهود، وقد بلغت هذه العملية ذروتها بعد ثماني سنوات. ففي 14 آب/أغسطس 1889 وصولت سفينة إس إس "فسر SS Weser" إلى بوينس آيرس عاصمة الأرجنتين وعلى متنها 820 يهوديًا روسيًا من مدينة كاميانتس-بوديلسكي Kamianets-Podilskyi[1] التي تقع على نهر سموتريتش Smotrych في غرب أوكرانيا ، وهو رقم يعادل نصف عدد السكان اليهود في الأرجنتين.[2] بدأت خطة رحلة هذه المجموعة عام 1887 في اجتماع عُقد في مدينة كاتوفيتشي Katowice في بولندا من قِبل مندوبي الجاليتين اليهوديتين في بودوليا Podolia في غرب أوكرانيا وبيسارابيا[3]، حيث كانت ظروف المعيشة هناك قاسية للغاية؛ وكانت الفكرة السائدة في هذا الاجتماع أن الهجرة هي الحل الوحيد الممكن، ولذلك أُرسل مندوب يدعى إليعازر كوفمان Eliezer Kauffman إلى باريس لطلب دعم البارون دو روتشيلد[4] للهجرة إلى فلسطين. فشلت هذه المفاوضات، وأثناء وجوده في باريس علم المندوب بوجود مكتب رسمي للمعلومات عن جمهورية الأرجنتين، وهي دولة لم تكن لديهم عنها معلومات تُذكر ولم يُنظر فيها حتى في مؤتمر كاتوفيتشي. أبلغ ج. ب. فرانك J. B. Frank، المسؤول الحكومي المسؤول عن المكتب، كوفمان أن هناك شخص يُدعى رافائيل هيرنانديز Rafael Hernández مهتم ببيع أراضٍ لمهاجرين أوروبيين وتقع هذه الأراضي في نوفا بلاتا Nueva Plata، بمقاطعة بوينس آيرس، بالقرب من مدينة لابلاتا. تمت الصفقة، وهكذا بدأت 120 عائلة من أصل

[1] Moises Ville: The Home of Jewish Gauchos, https://bubbameinsa.tripod.com/mville.htm
[2] Zablotsky, “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, p. [7].
[3] تعرف الان باسم مولدوفا.
[4] هو أبراهام إدموند جيمس دو روتشيلد الإبن الثالث ليعقوب روتشيلد الذي ترأس سلالة روتشيلد المصرفية في باريس.

روسي، يمثلها كوفمان، رحلتها إلى الأرجنتين.[1] عند وصولهم، علموا أن الأراضي التي اشتروها غير متوفرة، إذ خلال تلك الرحلة طويلة تضاعف سعر الأرض، فلم يكن من المناسب لهيرنانديز Hernández تسليم الأراضي التي دُفع عنها عربون، فهو ببساطة لم يُفِ بالعقد. من ثم حثّ حاخام الجالية اليهودية الناشئة في بوينس أيرس، هنري جوزيف، المهاجرين على التواصل مع بيدرو بالاسيوس Pedro Palacios، محامي الجماعة اليهودية ومالك قطع أراضي واسعة في مقاطعة سانتا فه Santa Fe[2]، الذي عرض عليهم استيطانهم في الأراضي التي يملكها. قُبل الاقتراح، وبحلول أواخر آب/أغسطس، وُقّعت العقود ذات الصلة ببيع العقارات، وبعد ذلك بفترة، توجه المهاجرون إلى هناك.

كان الانطباع الأول للمهاجرين مُحبطًا، فقد نُقلت العائلات إلى عربات شحن للسكن فيها كانت مُتوقفة في سقيفة على طول خط سكة الحديد في محطة بلاسيوس Palacios في مقاطعة سانتا فه ثم انتظروا دون جدوى لإعادة نقلهم إلى حقولهم وتزويدهم بالحيوانات وأدوات العمل والمواد كما هو منصوص عليه في العقود. ويُقال إن عمال السكة الحديد وزعوا الطعام على الأطفال الجائعين؛ وقد أودى وباء التيفوئيد الذي ساهم في انتشاره انعدام النظافة بحياة 60 منهم.[3]

وصلت أنباء هذه المعاناة إلى السلطات المحلية في الأرجنتين التي أمرت المفوض العام للهجرة باستكشاف أسباب الوضع الصعب الذي يعيشه المهاجرون. في هذه المرحلة، ظهر على الساحة الطبيب الروماني فيلهلم

[1] المصدر السابق، ص [7].
[2] تقع شمال شرق بوينس ايرس.
[3] Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 22.

لوفنتال Wilhelm Loewenthal ، خريج جامعة برلين، متخصص في علم الجراثيم والذي وظفته الحكومة الأرجنتينية في باريس في مهمة علمية. قبل مغادرته باريس طلب منه التحالف الإسرائيلي العالمي التدخل نيابةً عن المهاجرين على متن الباخرة "فسر". وعند وصوله إلى الأرجنتين زار لوفنتال محطة محطة سكة الحديد حيث يتواجد المهاجرون و أثبت سوء ظروف المعيشة التي يعيشونها ورغبتهم وإصرارهم في أن يصبحوا مزارعين رغم كل هذه الصعوبات، ثم خصص فصلاً في تقرير قدمه إلى وزير الخارجية، إستانيسلاو زيبالوس Estanislao Zeballos، لما يُسمى بـ"قضية المهاجرين الروس" (بالفرنسية *affaire des immigrantes ruses*)، مؤكداً أنهم كانوا في محطة سكة الحديد على مدار الأسابيع الستة الماضية وفي كثير من الأحيان لم يكن لديهم طعام يزيد عن قطعة بسكويت لكل شخص لمدة 48 ساعة، وبدوره طالب لوينتال بمساعدة المهاجرين في محطة سكة الحديد.[1]

عند وصوله إلى باريس، قدم لوفنتال مشروعًا مكتوبًا إلى حاخام فرنسا الأكبر "زادوك كان Zadoc Kahn" لتوطين العائلات اليهودية في المستوطنات الزراعية في في جمهورية الأرجنتين والذي كان من المفترض أن يفيد المهاجرين في محطة سكة الحديد أولاً. "يقترح المشروع أيضًا ألا تكون المساعدة المقدمة لليهود المضطهدين بمثابة هبة خيرية وأن يكون أكثر نفعاً لو تُتاح لهم إمكانية تكريس أنفسهم للزراعة وتأسيس مستوطنات زراعية."[2] إقترح

[1] ----------. “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, p. [8].
[2] ---------, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 22-23.

المشروع أيضاً تأسيس جمعية استيطانية وحدد المساحة التي ستُخصّص لكل مجموعة عائلية وكمية الأدوات، وشكل رأس المال، والتعويضات، وما إلى ذلك. كما نصّ الاقتراح على منح كل عائلة مزرعة تتراوح مساحتها بين 50 و100 هكتار، وأشار إلى أنه بتمويل قدره 200 ألف دولار أميركي أو مليون فرنك فرنسي، سيكون من الممكن توطين ما لا يقل عن 100 عائلة سنويًا، أي حوالي 1000 شخص. وحسب لوينتال فإنه من الأمثل توفير 10 ملايين دولار أميركي أو 50 مليون فرنك فرنسي لتوطين 5000 عائلة على المدى القصير لعلمه أن البارون دو هيرش قد حاول قبل عامين استثمار هذا المبلغ تحديدًا في إنشاء مدارس فنية وزراعية في منطقة الاستيطان في روسيا، ولذلك فكر لوينتال في ترشيح هيرش لتمويل المشروع. علم هيرش بالخطط من خلال التحالف الإسرائيلي العالمي، ومنح المشروع موافقته في كانون الثاني/يناير 1890.[1]

وكخطوة أولى في هذا الاتجاه، أرسل هيرش لجنةً شكّلها لوفنتال وخبيران في قضايا الهجرة والاستعمار وهما سي. إن. كولين C.N. Cullen، وهو مهندس بريطاني، والعقيد فانفينكروي Vanvinckeroy، من أصول بلجيكية، لدراسة التربة والجوانب الأخرى التي قد تُحدد نجاح المشروع. وفي محضر الاجتماع الذي عُقد في باريس في آب/أغسطس 1890، الذي شُكّلت من خلاله اللجنة، طرح هيرش الخطوط العريضة للمشروع الذي سيكون ذا طابع خيري بحت في البداية فقط، لأنه حسب رأيه لن ينجح هذا المشروع ما لم يُنظّم ويُدار كعمل تجاري يُدرّ على رأس المال المستثمر فيه ربحًا أو منفعة متجددة بغض النظر

---

[1] المصدر السابق، ص 23 و
Zablotsky, “The Project of the Baron de Hirsh. Success or failure?”, p. [9].

من إحتمال تخصيص الربح حصريًا لتطوير المشروع بهدف توسيعه ليستوعب أكبر عدد ممكن من المهاجرين. وفي آذار/مارس 1891 أرسلت اللجنة تقييمًا إيجابيًا إلى هيرش، وحصلت على موافقة الحكومة الأرجنتينية، حيث اعتُبرت الأرجنتين بلدًا مناسبًا لمشروع الاستسطان نظرًا لامتدادها، وانخفاض عدد سكانها، ومناخها، وخصوبتها، وتربتها السهلة الزراعة حتى للمستوطنين الأقل خبرة، ونظامها السياسي الليبرالي، والمزايا التي توفرها تشريعات البلاد للمهاجرين الراغبين في العمل الزراعي.[1] وهكذا قرر هيرش البدء بشراء الأراضي في الأرجنتين وفقًا لتوصيات اللجنة.[2]

شكلت تجربة المهاجرين من الباخرة "فسر" أساس قرار هيرش باختيار الأرجنتين لمشروعه ويتجلى ذلك في التصريحات التالية التي يدافع فيها عن قدرة المستوطنين المستقبليين على تنفيذ استعيطانهم الزراعي حيث ذكر الأتي:

"لا أتعهد بتنفيذ عمل بهذه الضخامة دون دراسة تمهيدية كافية لمعرفة ما إذا كان لدى العرق اليهودي ميل نحو الزراعة أم لا. المثال التالي سيُبدّد أي شك في هذا الشأن لإثبات قدرة اليهود على الزراعة والاستعمار: قبل بضع سنوات نُفيت مئات العائلات اليهودية من روسيا إلى الأرجنتين ورغم أكبر العوائق التي واجهتهم، نجحوا في ترسيخ جذورهم في أوطانهم الجديدة. هذه العائلات نفسها قبل بضع سنوات كان أفرادها تجار متجولين في روسيا يرزحون تحت أعباء ثقيلة والآن أصبحوا مزارعين مقتدرين يجيدون الزراعة باستخدام المحراث

[1] Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 24.
[2] Dubnow, v. II, p. 416.

والفأس كما لو لم يفعلوا شيئًا آخر من قبل إلا هذه المهمة فهم يصممون مزارعهم على أفضل وجه ويبنون لأنفسهم منازل صغيرة جميلة لدرجة أن كل من في المنطقة يوظفهم كنجارين في بناء المنازل. إن معرفة هذا الأمر ترشدني في عملي وأنا الآن أباشر بكل قوتي في إنجازه. لقد قادتني تجربتي الشخصية أيضًا إلى إدراك أن اليهود يتمتعون بقدرة جيدة جدًا في الزراعة. لقد رأيت هذا بنفسي في المستوطنات الزراعية اليهودية في تركيا؛ وتُظهر التقارير الواردة من البعثة التي أرسلتها إلى جمهورية الأرجنتين نفس الحقيقة بوضوح."[1]

[1] المصدر السابق، ص 24-25.

الفصل الرابع

إنطلاق مشروع هيرش

في الأرجنتين

تطلبت الهجرة الجماعية ليهود روسيا إلى الأرجنتين طبقاً لمشروع هيرش الأمور التالية: انتقاء المهاجرين ونقلهم إلى موطنهم الجديد وفتح مكاتب إدارية في وجهاتهم لاستقبالهم وتوطينهم في أوطانهم الجديدة. ولتنفيذ هذه المهام، أُسست جمعية الاستيطان اليهودي في أيلول/سبتمبر 1891 كشركة مساهمة خاصة إذ إن المبدأ الخيري لم يمنع من اعتبارها شركة مساهمة برأس مال قدره 2000,000 جنيه إسترليني[1] مقسم إلى عشرين ألف سهم. امتلك هيرش نفسه 19,993 سهمًا منها، بينما امتلك قادة يهود في لندن وباريس الأسهم السبعة المتبقية. وزّع هيرش أسهمه عام 1893 على الجمعية الأنجلو-يهودية والجاليات اليهودية في بروكسل وبرلين وفرانكفورت، ومقابل الأسهم الممنوحة للجمعية الأنجلو-يهودية احتفظ هيرش بحقوق التصويت لنفسه طوال حياته لإدارة شؤون هذه الجمعية بصفته رئيسًا لها. وكان هيرش قد منح هذه الجمعية في البداية مليوني جنيه إسترليني، لكنه ضاعف هذا المبلغ أربع مرات لاحقًا. وقد اختار هذا الشكل من التأسيس، كما قال في مقابلة، لأنه شعر بأنه كفرد قد لا يُعتبر ضمانًا كافيًا من قِبَل الحكومة الروسية، ولذلك قرر إشراك جميع اليهود في هذا المشروع الأكبر والأهم.[2]

[1] حسب Joseph ص 13 فإن راس المال بلغ 000 ,10,000 دولار أميركي، وحسب Dubnow الجزء الثاني، ص 419، بلغ رأس المال 50 مليون فرنك.

[2] Kurt, Grunwald, *Turkenhirsch. A Study of Baron Maurice de Hirsch, Entrepreneur and Philanthropist*, (New York: Daniel Davey & Co., Inc., 1966). pp. 72-73.

وفي شباط/فبراير 1892 تم تأسيس الشركة قانونيًا في الأرجنتين، وبعد ثماني سنوات حصلت على اعتراف من حكومة خوليو روكا كجمعية أهلية خيرية حيث نص المرسوم على أن "جمعية الاستيطان اليهودي هي مؤسسة ذات غرض إنساني قدمت إلى جمهورية الأرجنتين للقيام بأعمال ذات منفعة عامة للبلاد".[1] كانت أهداف الجمعية، كما ذكر هيرش نفسه هي "مساعدة وتشجيع هجرة اليهود من أي جزء من أوروبا أو آسيا -وخاصة من البلدان التي قد يخضعون فيها ... لأي ضرائب معينة أو إعاقات سياسية أو غيرها- إلى أي جزء من العالم وإنشاء وبناء مستوطنات في أجزاء مختلفة من أميركا الشمالية والجنوبية وبلدان أخرى لأغراض زراعية وتجارية وغيرها".[2] ومن الأسباب التي دعت إلى تشكيل هذه الجمعية انه بالإضافة إلى معاناة اليهود في روسيا القيصرية كان الوضع الإقتصادي الصعب في اوروبا فكان حافزا لإنشاء هكذا جمعيات تشجع هجرة سكان هذه القارة إلى مناطق أكثر رخاءً، ففي بدايات العام 1890 كانت أوروبا ترزح تحت اكتظاظ سكاني كبير ومستويات فقر عالية وكان الأوروبيون مجبرين على التعايش مع الكساد الاقتصادي والأوبئة المتتالية ما تسبّب في رفع أعداد الفقراء وزيادة الاضطرابات، و نتيجةً لذلك، برزت فكرة توزيع الفائض السكاني على الدول الأخرى رواجًا وأُنشئت الجمعيات التي تعمل على تشجيع هجرة السكان وتعدهم بمستقبل أفضل وراء البحار بما يشابه نموذج مكاتب الهجرة في زمننا الحالي، فسجّلت في تلك الفترة أكثر من 130 جمعية في المملكة

---

[1] Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 25-26.

[2] Isidore Singer and Oscar S. Straus, “Hirsch, Baron Moritz Freiherr von Hirsch auf Gereuth“, *Jewish Encyclopedia*, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth

المتحدة وحدها تشجّع على الهجرة بوصفها الخيار الأمثل لحلّ قضايا الفقر والتسول والاكتظاظ، وكانت جميع هذه الجمعيات تنطلق من فكرة ربط المهاجرين بالأرض وجعل الزراعة مصدر عيشهم ورزقهم، بما يمكّنهم من التملك والعيش والإنتاج دون حاجة لمعونات متواصلة، وهذه المميزات كانت أبرز ما لفت نظر المصرفي اليهودي الألماني البارون موريس هيرش، وجعل من المتاح جدًّا إنشاء جمعية يهودية بمثل هذه المواصفات وبمعايير هذا الحلم.[1]

وفور تشكيل الجمعية، وجّه هيرش نداءً إلى يهود روسيا بشأن خطة الهجرة التي كان ينوي تنفيذها حاثًّا إياهم على مساعدته بالالتزام ببعض القواعد الضرورية المقررة حتى لا تكون هجرتهم مُتهورة وتنتهي بالفشل، وذكّرهم بأنه لا يستطيع فعل شيء دون دعم الحكومة الروسية وأن عليهم أن يتحلوا بالصبر لمواجهة مشاكلهم لأنه في البداية سيكون عدد المهاجرين محددا ولكن مع مرور الوقت، يمكن أن تتخذ الهجرة أبعادًا أكبر.[2]

وإلى جانب عملها في الأرجنتين، قدّمت جمعية الإستيطان اليهودي خدمات جليلة من خلال الامتياز الذي حصلت عليه من الحكومة الروسية لإضفاء الشرعية على مغادرة اليهود لروسيا، فحتى ذلك الحين كانت الهجرة عادةً ما تتخذ شكل هروب سري عبر الحدود مصحوبًا غالبًا بالرشوة والاحتيال وفقدان الأمتعة الشخصية، بل وحتى بالخطر الجسدي، وقد مكّن الترتيب الجديد من إنشاء مكاتب

---

[1] عوايص، https://www.noonpost.com/256407/

[2] Isidore Singer and Oscar S. Straus, “Hirsch, Baron Moritz Freiherr von Hirsch auf Gereuth“, *Jewish Encyclopedia*, https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth

معلومات تُقدّم المشورة بشأن وجهات السفر والطرق الأكثر أمانًا وتُصدير جوازات سفر قانونية للمهاجرين وما إلى ذلك.[1]

في البداية، استوطنت المجموعة المتبقية من المهاجرين على متن الباخرة "فيسر" والذين ما زالوا يرغبون في العمل بالزراعة بعد تجربتهم المأساوية الأولى. ولهذا الغرض، اشترت جمعية الإستيطان اليهودي جزءًا من الأرض التي كانوا إنتعاش مستوطنة مويسيسفيل. وفي السنوات اللاحقة، أُنشئت خمس مستعمرات في إنتري ريوس Entre Ríos وأخرى في سانتا فه، واثنتان في مقاطعة بوينس آيرس، وواحدة في كل من تشاكو Chaco ولا بامبا La Pampa وريو نيغرو Río Negro.[2]

أُنشئت المستوطنات بسرعة حيث أُنشئت أربع مستعمرات في التسعينيات، وخمس أخرى قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. وبحلول عام 1896، وهو العام الذي توفي فيه البارون دي هيرش، غطى مشروع جمعية الإستطان اليهودي مساحة 302,736 هكتارًا، وتم توطين 6,757 مهاجرًا يهودياً. وكان من المقرر أن يتمتع هؤلاء المهاجرون بحق ملكية الأرض، وإن لم يكن ذلك مجانًا بل بعد دفع ثمنها، وكذلك جميع القروض العينية التي تلقوها أثناء انتقالهم وحتى حصادهم الأول (تكلفة الرحلة، والطعام، والأواني، والأدوات، وما إلى ذلك)، بالإضافة إلى دفع الفائدة المطلوبة.[3]

[1] Joseph, p. 13.
[2] Winsberg, pp. 5-6.
[3] Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 26.

تقييم مشروع هيرش الإستيطاني في الأرجنتين

كانت الخطة تقضي بتوطين 25 ألف شخص في السنة الأولى (1892) مع زيادة عدد المغادرين تدريجيًا كل عام حتى يصل عدد اليهود الذين سيغادروا روسيا بعد 25 عامًا حوالي 3,250,000.[1] إلا أنه حسب أراء عدد من المؤرخين فكان من الواضح أن خطةً طموحةً كهذه محكومٌ عليها بالفشل من خلال أعداد اليهود الذين كانوا يغادرون روسيا سنويًا. ففي السنة الأولى وحدها، لم تتمكن جمعية الإستيطان اليهودي من توطين سوى 2500 شخص، على الرغم من أن عدد الأشخاص المخطط له كان 25000، ولم يتجاوز في أي عام عدد المهاجرين اليهود إلى الأرجنتين 15000 شخص،[2] وبين عامي 1892 و 1894 استوعبت الهجرة الأرجنتينية 6 آلاف يهودي في حين بقي نصفهم في العاصمة بوينس أيرس، بينما تمكن النصف الآخر من الاستقرار في المستوطنات بعد تحمل كل الصعوبات المرتبطة بالاستيطان الزراعي في أرض جديدة وفي ظل ظروف مناخية جديدة، وبالتالي، بدلاً من ملايين اليهود كما كان مخططًا في الأصل، تم توطين 10 آلاف فقط في 6 مستوطنات.[3] وعلى الرغم من التناقض بين عدد عمليات الهجرة المخطط لها سنويًا من روسيا والعدد الذي وصل بالفعل إلى الأرجنتين ظلت الأخيرة الوجهة الرئيسية للقائمين على برنامج التوطين في جمعية الإستيطان اليهودي.[4]

---

[1] Dubnow, v. II, p. 419.
[2] Winsberg, p. 7.
[3] Dubnow, v. II, p. 421.
[4] Winsberg, p. 7.

ماذا حل بجمعية الإستيطان اليهودي بعد وفاة البارون موريس دو هيرش

بقيَ هيرش المدير الوحيد والمشرف المتابع لجمعية الاستيطان اليهودي حتى وفاته بداية عام 1896، وكانت الجمعية حينها تمتلك صندوقًا بمبلغ 6 ملايين جنيه إسترليني، ثم بعد وفاته ألقيت مهمة الإدارة على عاتق مجلس إدارة الجمعية الذي تصدّره اللورد إدموند دو روتشيلد ومع بوجود غولدشميت رئيسًا فخريًا. ومع تصدر روتشيلد لإدارة الجمعية، أصبح التوافق بينها وبين الحركة الصهيونية عالي المستوى لا سيما مع سمعته المتقدمة بوصفه "أبو السكان اليهود في أرض إسرائيل" بسبب ما أغدقه من أموال لتشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وخاصة اليهود الروس.[1]

وبعد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام 1897، ونتيجةً لدورها الفاعل في الاستيطان اليهودي، تم إقرار جمعية الاستيطان اليهودي كإحدى المؤسسات الرسمية لتشجيع الهجرة والاستعمار اليهودي[2]. وفيما كانت الجمعية قد أسّست مستوطنات في كل من أمريكا الشمالية وقبرص وآسيا الصغرى وفلسطين وروسيا ورومانيا، إلا أنها مع مطلع عام 1899 ركزت استيطانها على فلسطين، كما تولت إدارة جميع المستوطنات التي أنشأها روتشيلد منتصف القرن التاسع عشر في فلسطين، البالغ عددها 44 مستوطنة، والتي كانت تتم بمبادرات فردية منه ومن المتحمسين للاستيطان. ومع نهاية عام 1899، كانت الجمعية قد أقامت إلى جانب عملها في استقدام يهود العالم إلى فلسطين، سلسلةً من المنشآت

---

[1] عوايص، https://www.noonpost.com/256407/
[2] المصدر السابق.

التجارية والصناعية في القدس لتعزيز الاستيطان فيها، ومنها مصانع للحرير والصوف يعمل بها أكثر من 100 مستوطن، ومصنع لإنتاج آلات الحياكة، ومنشأة صباغة، ومصنع نسيج. وإلى جانب المصانع بنت الجمعية حيًّا خاصًّا بالعمال الرجال، وبنك إقراض للأموال بفائدة معتمدة خاص بالمستوطنين اليهود، ومدارس لتعليم الفتيات فنّ الحياكة وصناعة الدانتيل ، وهي الصناعات النسيجية الأكثر رواجًا آنذاك. ومع نهاية عام 1900 كانت الجمعية قد استطاعت شراء أراض وبناء مستعمرات في أفضل المواقع الجغرافية في فلسطين، وأقلها اكتظاظًا بالعرب وأقربها إلى المياه وخطوط المواصلات، فظهرت المستعمرات في كل من منطقة الجليل الشرقي، وبحيرة طبريا وما حولها، كما موّلت الجمعية الخبراء الزراعيين وفرق الطلائعيين الذين رسموا طبوغرافية المستوطنات بما يتناسب مع أهداف الأمن والتوسع. وعلى طول شمال فلسطين والجليل الأعلى، انتشرت مستوطنات الجمعية التي عُرفت بمستعمرات "روتشيلد"، وحملت بعضها أسماء مرتبطة بأفراد عائلته مثل مستوطنة "زخرون يعقوب" على اسم والده يعقوب جيمس، ومستوطنة ‘‘مزكيرت باتيا’’ على اسم والدته باتيا بتي، و’’جفعات عادا’’ على اسم زوجته عادا ادلييد[1].

وبعد إحتلال بريطانيا لفلسطين تعاونت هذه الجمعية مع مؤسسة روتشيلد عام 1923 فتم تأسيس "منظمة جمعية الاستيطان اليهودي في فلسطين" (بيكا PICA) حيث بلغ مجموع ما امتلكته خلال ربع قرن (1923 - 1948) ما مساحته 45 ألف دونم، أي ثُلث ما كان بحوزة اليهود من أراض عند إعلان قيام

[1] المصدر السابق.

إسرائيل، وفي عام 1933 ساهمت جمعية الإستيطان اليهودي في تأسيس جمعية (إميكا) EMICA وهي اختصار Emergency Fund for Palestine أي صندوق الطوارئ لفلسطين التي أشرفت على بناء العديد من المستوطنات اليهودية الصهيونية في فلسطين، ففي عام 1955 أصبح أسم إميكا «إيكا في إسرائيل» حيث أصبحت إسرائيل المركز الرئيسي لنشاطها، وقد اشتركت هذه الجمعية مع الوكالة اليهودية في تطوير منطقة الجليل الأعلى في إقامة أكثر من 30 مستوطنة يهودية، وكذلك في تقديم تسهيلات ائتمانية في المجال الزراعي في إسرائيل وبالإهتام بدعم المؤسسات التعليمية بها[1] مثل مكفه إسرائيل[2] Mikveh Israel و أورت[3] ORT وكلية الزراعة في الجامعة العبرية بالقدس.[4] وبذلك تحول نشاط الجمعية كليا لخدمة المشروع الصهيوني رغم أن هيرش لم يكن متحمسا لإقامة دولة يهودية في فلسطين، بل كان "أحد القلائل من المحسنين اليهود البارزين في أوروبا الغربية الذين عزموا على تلبية احتياجات يهود أوروبا الشرقية ليس بالصدقات بل بالخطط البناءة والموارد المالية الضخمة، [حيث] أنفق الجزء الأكبر من تبرعاته، التي يبدو أنها تجاوزت 100 مليون دولار،على إعادة التأهيل الاقتصادي اليهودي، جزئياً من خلال التعليم والتدريب المهني، وأساساً في المستوطنات الزراعية في الأرجنتين والبرازيل وكندا

[1] "إيكا (جمعية الاستيطان اليهودي)"، *الحصين*، https://www.alhesn.net/play/10731
[2] هي أول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين اسست عام 1870 وتقع في منطقة تل أبيب.
[3] إختصار لتعبير روسي وتعني بالعربية "النقابة للمهن المحترفة"، وهي شبكة تعليمية تهتم ببناء مجتمع تكنولوجي وتوجيه مهني لدى أبناء الشبيبة اليهودية في فلسطين، أسست عام 1948.
[4] “Jewish Colonization Association (ICA)”, *Jewish Virtual Library*, https://www.jewishvirtuallibrary.org/jewish-colonization-association-ica#google_vignette

والولايات المتحدة."[1] وهكذا تحول مشروع البارون دو هيرش بعد وفاته إلى خطط لتنفيذ المشاريع الصهيونية، فبعد ان كان هدف البارون هو إنقاذ اليهود الروس من المظالم التي عانوا منها في روسيا من خلال توطينهم في الأرجنتين بعيدا عن إنشاء دولة في فلسطين عمد الصهاينة إلى إلى إحتلال فلسطين وإضطهاد سكانها وتهجيرهم ليحل بهم ما حل باليهود في روسيا.

[1] مقتبس من:
Zablotsky, “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”, p. 5.

المراجع

باللغة العربية:

"إيكا (جمعية الاستيطان اليهودي)". *الحصين*.
https://www.alhesn.net/play/10731

الحجي، طارق خالد. "تهود الخزر"، *مجلة العربي*، العدد 635.
https://alarabi.nccal.gov.kw

العزب، هبة جمال الدين. *الطائفة اليهودية في روسيا من التهميش إلى النفوذ*.
بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، 2025.

عوايص، سجود. "جمعية الاستعمار اليهودي: التأسيس لاستيطان فلسطين وجيرانها العرب". https://www.noonpost.com/256407/

"محاكم التفتيش الإسبانية اعتناق الكاثوليكية أو التعذيب حتى الموت".
الجزيرة نت. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2024/2/25

محمود، أمين عبد الله. *مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى*. سلسلة عالم المعرفة، 74. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، 1984.

المسيري، عبد الوهاب. "روسيا القيصرية حتى عام 1855". *موسوعة اليهود والصهيونية*. بيروت: دار الشروق، 1999، مج 4، ص 361-371.

-------. "موريس دي هيرش، 1831-1896". *موسوعة اليهود والصهيونية*. بيروت: دار الشروق، 1999، مج 6، ص 178.

In English:

"Arenda". *Jewish Virtual Library.* https://www.jewishvirtuallibrary.org/arenda-jewish-virtual-library

Dubnow, Simon. *History of the Jews in Russia and Poland from the earliest times until the present day*. Translated from the Russian by Israel Friedlaender. 3v. Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1916-1920.

Grunwald, Kurt. *Turkenhirsch. A Study of Baron Maurice de Hirsch, Entrepreneur and Philanthropist*. New York: Daniel Davey & Co., Inc., 1966.

Henschel, Christhardt. "Cantonists". *Encyclopedia of Jewish History and Cultures Online*. https://referenceworks.brill.com/display/entries/EJHC/COM-0395.xml?language=en

"Jewish Colonization Association (ICA)". *Jewish Virtual Library.* https://www.jewishvirtuallibrary.org/jewish-colonization-association-ica#google_vignette

"Jewish Russia, 1800-1850". *Jewish History.org*. https://www.jewishhistory.org/jewish-russia-1800-1850/

Joseph, Samuel. *History of the Baron De Hirsch Fund: The Americanization of the Jewish immigrant*. [Philadelphia]: Printed for Baron de Hirsch Fund by the Jewish Publication Society, 1935.

Klier, John. "Pale of Settlement". *The Yivo Encyclopedia of Jews in Eastern Europe.* https://encyclopedia.yivo.org/article/246

Laznow, Jacqueline. "Argentine Jews, between the Old and New Worlds," 27 January, 2022.

https://k-larevue.com/en/argentine-jews-between-old-and-new-world/

"Modern Jewish history: The Pale of Settlement". *Jewish Virtual Library*. https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-pale-of-settlement

"Moisés Ville". *Wikipedia*. https://en.wikipedia.org/wiki/Moises_Ville

Moises Ville: The Home of Jewish Gauchos. https://bubbameinsa.tripod.com/mville.htm

R., H. "Agricultural colonies in Russia". *The Jewish Encyclopedia*. New York: Funk and Wagnalls. 1901-1906, v.1, pp. 252-256.

Rosenthal, Max. "Agricultural colonies in the Argentine Republic (Argentina)". *Jewish Encyclopedia*. https://www.jewishencyclopedia.com/articles/905-agricultural-colonies-in-the-argentine-republic-argentina

Singer, Isidore and Oscar S. Straus, "Hirsch, Baron Moritz Freiherr von Hirsch auf Gereuth". *Jewish Encyclopedia*. https://www.jewishencyclopedia.com/articles/7739-hirsch-baron-maurice-de-moritz-hirsch-freiherr-auf-gereuth

Winsberg, Morton D. *Colonia Baron Hirsch: A Jewish agricultural colony in Argentina*. Gainesville, FL: University of Florida Press, 1964.

Zablotsky, Edgardo E. “Philanthropy vs. unproductive charity: The case of Baron Maurice de Hirsch”. *Serie Documentos de Trabajo No. 264*. Buenos Aires: Universidad del Centro de Estudios Macroeconómicos de Argentina (UCEMA). https://hdl.handle.net/10419/110067

----------. “The Project of the Baron de Hirsh. success or failure?” *SSRN Electronic Journal*, January 2005. DOI 10.2139/ssrn.998626

المحتويات